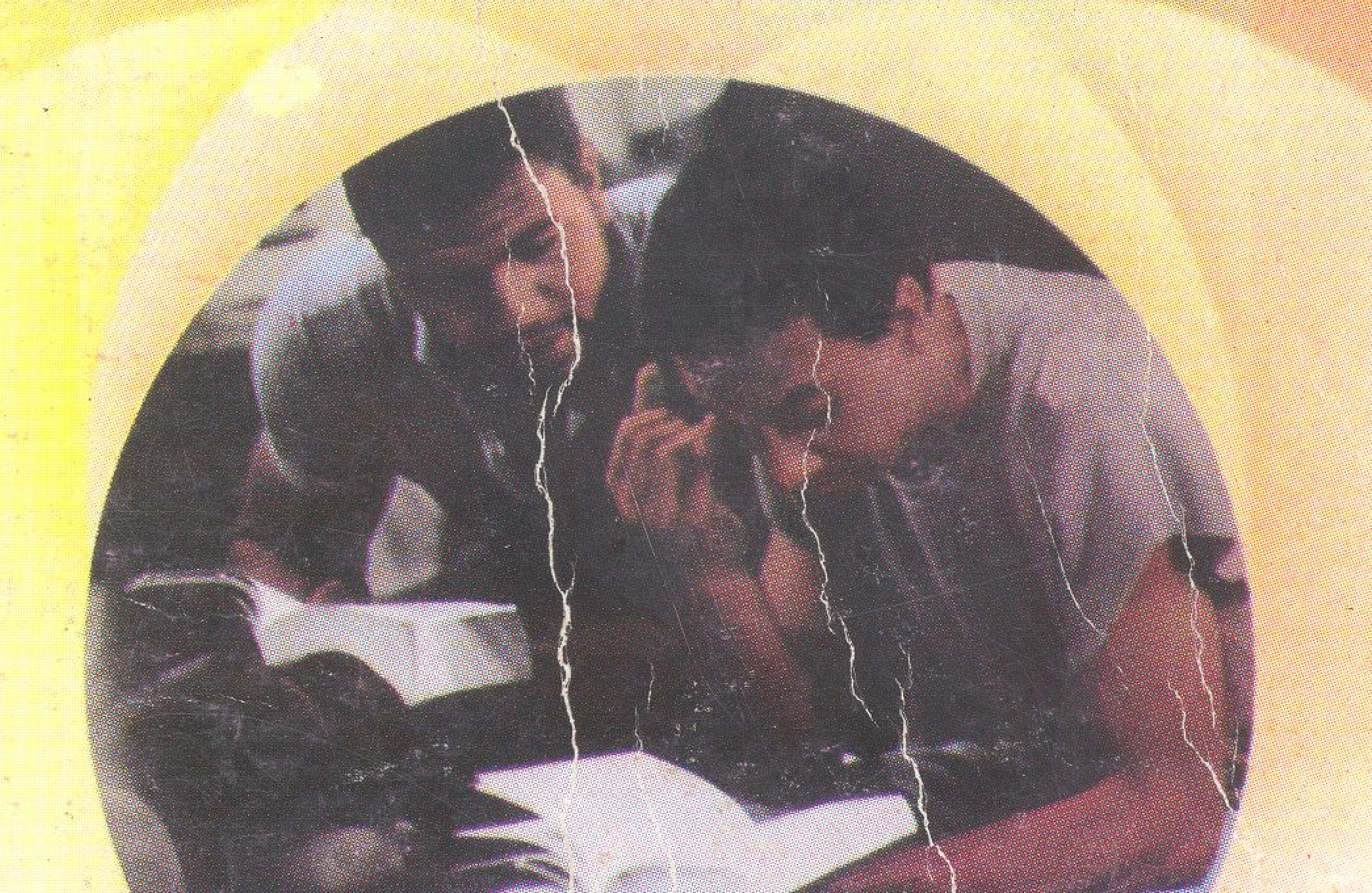
إنجيل مزيف

إنجيل برنابا

في ضوء التاريخ والعقل والدين

بقلم
عوض سمعان



اهداءات ٢٠٠٣

أ / سمير فؤاد راغب

المنيا

إنجيل
برنابا

إنجيل برنابا

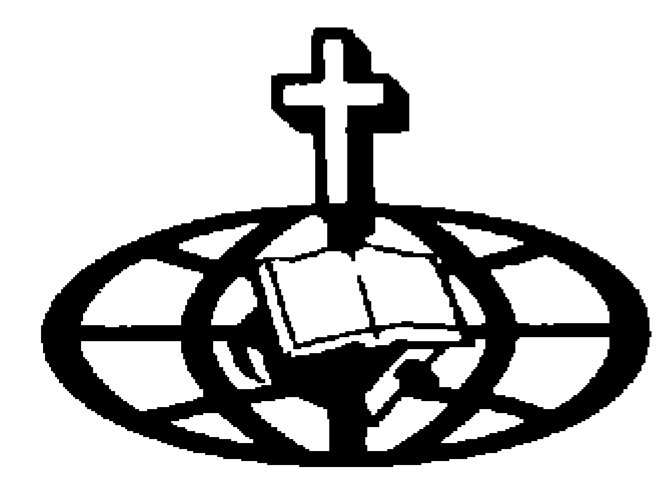
في ضوء التاريخ والعقل والدين

بقلم

عوض سمعان

الطبعة الثامنة

Episcopal Church Publisher



دار النشر الأسقفية

صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٧٠٠ / ٨٨

فهرس

الكتاب الأول
إنجيل المسيحيين

صفحة

الكتاب الثانى « إنجيل برنابا »

صفحة

هذا الكتاب

يعتقد بعض الناس أن إنجيل المسيحيين أصابه التحريف منذ زمن بعيد ، وأن الإنجيل الحقيقى هو المسمى « إنجيل برنابا » . فيجب الاعتماد على إنجيل برنابا دون إنجيل المسيحيين .

ولما كان هذا الاتهام خطيراً ، فقد دَرَس الكاتبُ الإنجيلَين ، وقارن بين المعتقدات الواردة فيهما ، وبين مااستطاع العثور عليه من محتويات الكتب الدينية والأدبية والتاريخية التى أشارت إلى شئ من المعتقدات المذكورة . فأسفرت الدراسة والمقارنة عن إصدار هذا الكتاب . وهو إذ يقدّمه للقراء ، يرجو الله أن يستخدمه لإعلان إنجيله الحقيقى ، لأجل مجده وخير نفوسهم العزيزة .

المؤلف



الكتاب الأول

إنجيل المسيحيين



الفصل الأول
سلامة الإنجيل من الناحية التاريخية

تمهيد :

كلمة « الإنجيل » معرّبة عن الكلمة اليونانية « إڤانجيليون » ومعناها « البشارة » أو « الخبر السار » . والسبب فى إطلاق هذا الاسم عليه ، أنه يعلن للملأ محبة الله المطلقة للخطاة وموت المسيح كفارة عنهم ، حتى لايهلك كل من يؤمن به منهم إيماناً حقيقياً ، بل تكون له الحياة الأبدية « يوحنا ٣ : ١٦ » .

وقبل الرد على الدعوى بحدوث تحريف فى إنجيل المسيحيين ، نقول : إنه يمكن لأى إنسان أن يتّهم آخر بما يشاء ، لكن إذا لم يستطع إثبات اتهاماته بأدلة مقنعة تكون باطلة ، فكان من الواجب على القائلين بحدوث تحريف فى هذا الإنجيل أن يذكروا :

(١) الآيات التى أصابها التحريف ، وماذا كانت قبل تحريفها .

(٢) اسماء الذين قاموا بالتحريف ، وفى أى وقت قاموا به ، وما هى غايتهم من تصرفهم هذا .

(٣) كيف استطاع هؤلاء الأشخاص أن يقوموا بالتحريف مع أنه كان يوجد منذ القرن الثانى الميلادى آلاف النسخ من الإنجيل فى بلاد متفرقة وبلغات متعددة ، الأمر الذى يتعذّرمعه إجراء تحريف فيها جميعاً .

(٤) وأخيراً أن يذكروا الطريقة التى لجأ إليها الأشخاص المذكورون لإخفاء التحريف المزعوم ، حتى لم يستطع اكتشافه إلا المعترضون ، وذلك بعد مئات السنين من حدوثه !

وبما أن المعترضين اكتفوا بالاتهام دون ذكر الأدلة التى تثبته ، يكون اتهامهم باطلاً ، ومع هذا فقد بحث الكاتب هذا الاتهام من نواحٍ متعددة ، فاتّضحت له سلامة الإنجيل من أى تحريف ، كما يتضح من هذا الكتاب .

١ – لم يعترض معاصرو المسيح ولا خلفاؤهم فى القرون الأولى على شئ مما ورد فى الإنجيل :

أ – كان الإنجيل قد أخذ فى الانتشار شفوياً بعد صعود المسيح إلى السماء بعشرة أيام فحسب ، وذلك بين سكان أورشليم الذين عاصروا المسيح وعرفوا كل شئ عنه « أعمال ٢ – ٧ » دون أن ينهض واحد منهم ، مهما كان شأنه ، لمناقضة شئ مما جاء فيه . وبعد ذلك انتشر الإنجيل فى مدةٍ لاتتجاوز ثلاث سنوات فى كثير من بلاد الشرق والغرب بلغات سكّانها . وكان معظم هؤلاء بسبب انتشار الثقافة اليونانية وقتئذ بينهم ، لايقبلون الأخبار إلا بعد فحصها وتمحيصها من كل الوجوه (اقرأ مثلاً أعمال ١٧ : ١٠-١٢ و ١٩ : ٨-٢٤) . وبالرجوع إلى التاريخ لانرى واحداً من هؤلاء أيضاً قد اتهم المبشرين بالإنجيل بتحريفٍ أو تزوير .

ب – لم يتّهم اليهود والوثنيون ، على الرغم من تهكمهم منذ القرن الأول على عبادة المسيحيين وعقائدهم (لروحانية العبادة المسيحية وسموّ عقيدتها فوق الإدراك البشرى) أبداً بأنهم حذفوا شيئاً من إنجيلهم ، أو أضافوا إليه شيئاً آخر .

ج – اشتهر الفلاسفة الوثنيون الذين اعتنقوا المسيحية فى القرون الأولى بالبحث والمناقشة ، ولم يكن لهم رأى واحد من جهة عقائد المسيحية ، فانقسموا إلى فرق متعددة لاختلافهم فى شرح بعض آيات الإنجيل . وكان كل فريقٍ منهم يناصب الفريق الآخر العداء ، ويحاول إسناد شتّى التهَم إليه . ومع ذلك لم يسند فريق منهم إلى غيره جريمة إجراء تزوير فى الإنجيل الذى يعتمد عليه فى البحث والمناقشة ، فاتفاقهم على نص واحد يؤكد مصداقيته .

٢ – نُشر الإنجيل كتابةً دون تنقيح بين معاصرى المسيح ، وتُرجم إلى لغات متعددة ابتداءً من القرن الثانى :

أ – بعد نشر الإنجيل شفوياً فى كثير من بلاد الشرق والغرب ، أُرسل ابتداءً من منتصف القرن الأول مكتوباً فى كتب ، بواسطة أشخاص عرفوا كل شئ عن المسيح ، إمّا فى هيئة سيرة تفصيلية له كما فعل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، أو فى هيئة شرح لمبادئه وتعاليمه كما فعل بولس وبطرس ويعقوب وغيرهم ، دون أن يقابل بعضهم ماكتبه على ماكتبه البعض الآخر ، الأمر الذى يدل على نزاهتهم وعدم وجود أى تواطؤ بينهم ، وقيام كل منهم بكتابة الإنجيل مستقلاً عن صاحبه .

ب – كان هؤلاء الأشخاص مختلفين عن بعضهم اختلافاً كبيراً لايسمح لهم بالاتفاق على أمرٍ ما ، إلا إذا كان هذا الأمر حقيقةً ملموسة لديهم جميعاً . فمتّى كان محاسباً حريصاً ، ومرقس شاباً متحمّساً ، ولوقا طبيباً مدقّقاً ، ويوحنا شيخاً رزيناً هادئاً، وبولس فيلسوفاً متعمقاً ، وبطرس جريئاً جسوراً ، ويعقوب خبيراً محنكاً . وبينما كان لوقا الطبيب يونانياً يتمتع بدرجة عظيمة من الثقافة وحرية الفكر ، كان معظم الآخرين من اليهود ،واليهود أصوليون مترمّتون بطبيعتهم ، لايميلون إلى الدراسة أو التأليف . كما أنه لم يكن يخطر ببال واحدٍ من هؤلاء جميعاً أن ما كتبه عن المسيح ، سيكون كتاب المسيحية الذى يتناقله الناس فى كل العصور والبلاد ، حتى كان يجوز الظن بأن واحداً منهم لجأ فى كتابته إلى شئ من الموضوعات المستحدثة ، أو أضاف إلى سيرة المسيح شيئاً أو حذف منها شيئاً آخر ، لتكون حسب نظره ملائمة لطبائع البشر جميعاً ، بل كان غرضهم الوحيد أن يدوّنوا سيرة المسيح وتعاليمه كما عرفوها ، وذلك لفائدة الذين لم يسمعوا عنها من معاصريهم .

وبعد ذلك كُتب الإنجيل فى آلاف النسخ ، كما تُرجم إلى لغاتٍ متعددة ابتداءً من القرن الثانى ، لفائدة الذين اعتنقوا المسيحية من اليهود والوثنيين ، الذين كانوا يتكلمون بهذه اللغات فى البلاد المختلفة ، ليتلى فى اجتماعات عبادتهم . فكان كثيرون يحفظون ما جاء فيه عن ظهر قلب ، كما شهد يوستينوس وترتليان فى القرن الثانى ، وكتابة الإنجيل فى آلاف النسخ ، وترجمته إلى لغات

متعددة ، وانتشاره فى بلاد مختلفة ، وحفظ كثيرين ما جاء به عن ظهر قلب ، يجعل إجراء أى تحريف فى كل نسخة أمراً مستحيلاً .

٣ - كتابة الإنجيل على ورق البردى أو جلد الغزال :

لم يُكتب الإنجيل على أحجار أو عظام ، كما كانت تُكتب الحوادث والسِّير القديمة (حتى كان يجوز الظن أن بعض هذه المواد قد تآكل أو ضاع) بل كتبوه فى كتب من ورق البردى وجلد الغزال بكل دقة وعناية . ثم نسخه الذين أتوا بعدهم على ورق البردى وجلد الغزال أيضاً ، كما كان يفعل اليونان والرومان قديماً بكتبهم الهامة ، الأمر الذى لايدع مجالاً للظن بضياع جزء من الإنجيل وكتابة غيره بدله .

٤ - عدم حرق النسخ الأصلية للإنجيل :

لم يتعمّد أحدٌ إحراق أو إتلاف النسخ الأصلية للإنجيل ، كما حدث مع بعض الكتب القديمة التى أراد فريق من الناس إخفاءها ، أو إخفاء شئ مما جاء فيها لغرضٍ فى نفوسهم (حتى كان يظن أن الإنجيل الذى فى ايدينا الآن ليس هو الإنجيل الحقيقى) بل ظلّت هذه النسخ موجودةً كما هى ، ونقلت عنها ابتداءً من القرن الثانى نسخ كثيرة لاتزال باقية إلى الآن ، كما سيتضح فى الفصل التالى .

٥ - محافظة قدامى المسيحيين حتى على الأناجيل المزيفة ونشرها :

لم يحرق المسيحيون القدامى حتى الكتب التى ألّفها أصحاب البدع عن المسيح ، فى الفترة الواقعة بين أواخر القرن الثانى وأواخر

القرن الرابع (لترويج بدعهم) وأطلقوا على كلٍ منها زوراً وبهتاناً اسم « الإنجيل » بل أبقاها هؤلاء المسيحيون كما هى ، لثقتهم الكاملة فى صدق الإنجيل الذى بين أيديهم . وليس هذا فحسب ، بل وأيضاً طبعوها ونشروها بلغاتٍ كثيرة ، مراعاةً لمبدأ حرية الرأى ، وليفسحوا المجال أمام الناس فى كُل العصور للمقارنة بين ما جاء فى هذه الكتب ، وبين ما جاء فى الإنجيل الذى بين أيديهم ، الأمر الذى يدل على أمانة المسيحيين القدامى ونزاهتهم وعدم جواز اتهامهم بإجراء أى تحريف فى الإنجيل .

الفصل الثانى
سلامة الإنجيل من الناحية الأثرية

١ - وجود نسخ من التوارة والإنجيل يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الثاني ومابعده :

هناك نسخة كاملة من الإنجيل الذى كتبه يوحنا وجدت سنة ١٩٢٣ على بعد ٢٨ كيلو متراً جنوب أسيوط (فى مصر) يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٥م . وهى محفوظة الآن بمكتبة ريلاندز بمنشستر (انجلترا) . وهناك أيضاً بقايا نسخة من الأناجيل التى كتبها كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، مع رسائل بولس الرسول ، وجزء من سفر الرؤيا يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٠م ، وجميعها محفوظة أيضاً هناك . وعدا ذلك توجد مجموعة شتوبى التى تحتوى على أجزاء من العهدين القديم والجديد ، يرجع تاريخها إلى سنة ٢٠٠م . كما يوجد مخطوط مدينة دورا (الواقعة على نهر الفرات) يحتوى على أجزاءِ من العهد الجديد ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٢٧٥م ، ومجموعة أرسنيوس (بالفيوم - مصر) تحتوى على كثير من أقوال المسيح ، ويرجع تاريخها إلى أوائل القرن الرابع .

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك ست نسخ كاملة من الكتاب المقدس يرجع تاريخها إلى المدة الواقعة بين القرنين الثالث والخامس ، نشرت صور لبعض صفحاتها فى الكتب والمراجع الهامة ، كما يتضح مما يلي :

أ – النسخة الإخميمية :

وقد اكتشفها فى إخميم بصعيد مصر سنة ١٩٤٥م العلاّمة شستر بيتى ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث ، وهذه النسخة محفوظة الآن فى لندن .

ب – نسخة سانت كاترين :

ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع ، وقد اكتشفتها بعثة أمريكية بمساعدة بعض الأساتذة المصريين من جامعة « فاروق » سابقاً « الإسكندرية حالياً » . وقد أشارت إلى هذه النسخة الجرائد المصرية لاسيما جريدة الزمان فى ١٥ يوليو تموز ١٩٥٠ وجريدة الأهرام الصادرة فى ٦ يوليو تموز ١٩٦٦ عند حديثها عن احتفال جامعة الإسكندرية بمرور ١٤٠٠ سنة على إنشاء دير سانت كاترين ، وعند الاحتفال بإحياء مكتبة الإسكندرية القديمة عام ١٩٩١ .

ج – النسخة السينائية :

ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع ، وقد عثر تشندروف العالم الألمانى على ٤٥ ورقة منها فى سنة ١٨٤٢م فى دير سانت كاترين ، وعثر على الباقى فى المدة من سنة ١٨٥٢ – ١٨٥٩م ، ثم أهداها إلى الإسكندر إمبراطور روسيا ، وقد صوِّرت صفحاتها سنة ١٩١١ وأُرسلت إلى بعض المتاحف ودور الكتب . ولما قامت الثورة الشيوعية عرضت هذه النسخة للبيع ، فاشتراها المتحف البريطانى سنة ١٩٣٥ بما يوازى بضعة ملايين من الدولارات .

د – النسخة الفاتيكانية :

ويرجع تاريخهاإلى القرن الرابع ، وقد سُمّيت بهذا الاسم لأنها كانت ملكاً لمكتبة الفاتيكان بروما ، إذ ورد ذكرها فى محتوياتها هذه المكتبة سنة ١٤٧٥م. لكن لما اقتحمت جيوش نابليون إيطاليا ، نُقلت إلى باريس ليدرسها العلماء بباريس . وفى عام ١٨٨٩ صُوِّرت صفحاتها وطبع منها عدد كبير ، أرسل إلى بعض المتاحف والجامعات . ومن الأدلة على قدم هذه النسخة ، عدم انفصال كلماتها بعضها عن البعض الآخر . ويقول رجال الآثار إنها كتبت بواسطة رجل مصرى .

هـ – النسخة الإسكندرانية :

ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس ، وتتكون من أربعة مجلدات ضخمة ، وقد عثر عليها فى الإسكندرية لوكاربـوس بطـريرك الأستانة ، فارسلها إلى تشارلز الأول ملك إنجلترا ، على يد السير توماس سفير إنجلترا فى الأستانة سنة ١٦٢٤م . وأُودعت بعد ذلك فى المتحف البريطانى سنة ١٨٥٣م . ويقول رجال الآثار إن النسخة المذكورة كُتبت بواسطة شخص يدعى « تكلا » وإنها كانت إحدى النسخ التى جمعت من الإسكندرية سنة ٦١٥م لمقارنة الترجمة السريانية عليها . ومن الأدلة على قدمها أن رسائل بولس الرسول ترد بها غير مقسّمة إلى أصحاحات ، على نقيض النسخ التى كتبت بعد القرن الخامس . وقد صُوِّرت صفحاتها سنة ١٨٦٩م وأُرسلت إلى بعض المتاحف ودور الكتب .

و – النسخة الأفرائيمية :

ويرجع تاريخها إلي القرن الخامس ، وكانت ملكاً لعائلة مديشي فى فلورنسا ، ثم نقلت إلى باريس فى القرن السادس عشر ، حيث أودعت بدار الكتب بها .

وعدا النسخ المذكورة توجد النسخة الأمبروسانية (وترجع إلى سنة ٤٥٠م) والنسخة البيزائية (٥٥٠م) والنسخة الشرقية (٨٢٠م) والنسخة البطرسية (٩١٦م) . كما توجد ٦٧٤ نسخة غير كاملة يرجع تاريخها إلى الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والعاشر ، وجميعها محفوظة فى المتاحف ودور الكتب الأوروبية .

أما الدعوى بأنه نظراً لأن النسخة الأصلية للكتاب المقدس غير موجودة الآن ، لذلك لايجوز الاعتماد على النسخ الأثرية السابق ذكرها ، فلايجوز الآخذ بها لثلاثة أسباب :

(١) يرجع تاريخ بعض هذه النسخ إلى سنة ١٢٦م ، أى بعد الانتهاء من كتابة أجزاء الكتاب المقدس الأصلية بمدة تتراوح بين ٦٠ و ٢٥ سنة فقط . وهذا لايدع مجالاً لحدوث أى تحريف فيها .

(٢) عاصر كثيرون من المسيحيين النسخة الأصلية وهذه النسخ معاً ، ولو كان قد حدث أقل تحريف ، لثاروا ضده وأعلنوا للملأ حقيقة الأمر .

(٣) لا أثر لأصول أهم الكتب القديمة ، مثل لوْحَي الحجر اللذين كُتبت عليهما الوصايا العشر ، ومع ذلك لايشك أحدٌ فى أن الوصايا العشر الواردة الآن فى التوراة هى بعينها التى كانت مدوّنة على اللوحين المذكورين ، لأن التواتر العام دليل على صدقها . وهكذا الحال من جهة الكتاب المقدس بالإضافة لتفوّقه على سائر الكتب بمخطوطاته فى الكثرة.

٢ - وجود جداول لمحتويات الكتاب المقدس ، يرجع تاريخها إلى القرن الثالث ومابعده :

هناك ١٣ جدولاً للكتاب المقدس يرجع تاريخها إلى القرن الثالث والقرون الأربعة التالية له ، يحتوى كل منها على اسماء أسفار هذا الكتاب وملخص كل سفر منه ، وأشهرها : جدول مورتورى المحفوظ بميلان ، وجدول أوريجانوس المحفوظ بباريس ، وجدول يوذينوس ، وجدول أثناسيوس ، وجدول يوسابيوس ، وجدول لادوكية ، وجدول سلاميس ، وجدول غريغوريوس . وهذه الجداول محفوظة الآن فى متحف لندن وغيره . وقد قام يوشيان وغيره من العلماء بمضاهاة نسخ الكتاب المقدس القديمة وما جاء فى هذه الجداول ، على الكتاب المقدس الموجود بين أيدينا الآن ، فلم يجدوا اختلافاً ما ، الأمر الذى يدل على أنه لم يحدث به تحريف أو تغيير .

٣ – وجود كتب دينية بها اقتباسات كثيرة من الكتاب المقدس ، يرجع تاريخها إلى القرن الأول ومابعده :

أ – فمن القرن الأول توجد :

(١) رسالة لأكليمندس (أسقف روما سنة ٨٠م) الذى كان رفيقاً لبولس الرسول (فيلبى ٤ : ٣) تحتوى على ٥٩ فصلاً ، كلها مواعظ مؤسسة على فصول من الإنجيل . وقد أشار إليها إيريناوس سنة ١٧٠م وديونسيوس أسقف كورنثوس سنة ١٩٠م وهذه الرسالة محفوظة الآن **بمتحف لندن** .

(٢) ثلاثة كتب لهرميس الذى كان رفيقاً لبولس الرسول (رومية ١٦ : ١٤) وتتحدث عن حياة المسيح والعقائد المسيحية الواردة فى العهد الجديد .

(٣) سبع رسائل لأغناطيوس (أسقف أنطاكية سنة ٩٥م) تحثّ على التقوى والقداسة والإيمان الحقيقي بالمسيح ، وهى محفوظة الآن **بمتحف باريس** .

ب – ومن القرن الثانى توجد :

(١) رسالة لبوليكاربوس (أسقف أزمير ، الذى كان تلميذاً ليوحنا الرسول) وهذه **الرسالة تتحدث عن صلب المسيح وقيامته وصعوده** .

(٢) تفسير الإنجيل تأليف باباياس أسقف هيرابوليس فى ستة مجلدات .

(٣) كتاب ليوستينوس الفيلسوف يدافع فيه عن المسيحية ، ويجادل بشأنها كثيرين من بينهم شخص يهودى يدعى تريفو . ولهذا الفيلسوف أيضاً رسائل موجّهة إلى الأمبراطور تيطس أنطونيوس والإمبراطور ماركوس أنطونيوس . وأيضاً إلى أعضاء مجلس السناتو فى روما ، يوضح فيها أسباب اعتناقه للمسيحية .

(٤) كتاب لهيجسبوس يصف فيه رحلته إلى الكنائس الشرقية والغربية . سجل فيه أنه وجد الكنائس المذكورة تسير وفقاً للتعاليم الواردة فى إنجيل يسوع المسيح .

(٥) كتاب لإيريناوس أسقف ليون ذكر فيه ماسمعه عن رسل المسيح الاثنى عشر ، من الأشخاص الذين عاصروهم بدون أدنى ذكر لأى حادث مع الرسول بولس .

(٦) كتاب لأثيناغورس أحد فلاسفة المسيحيين القدامى سجل فيه أن الكنائس تواظب على دراسة إنجيل المسيح المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

(٧) كتاب للفيلسوف أرستيدس يتضمن خلاصة التعاليم المسيحية ، وقد أهداه مؤلفه إلى الإمبراطور أدريانوس .

(٨) كتاب « اتفاق البشائر الأربع » بقلم تيتيانوس .

(٩) تفسير الإنجيل بقلم باتنينوس وآخر بقلم أكلمندس .

(١٠) مؤلفات ترتوليان الفيلسوف عن العقائد المسيحية .

ج – ومن القرن الثالث يوجد :

(١) كتب أوريجانوس فى التفسير والبحوث الدينية ، وعددها كما يقول المؤرخون أكثر من ٥٠٠ كتاب .

(٢) تاريخ الكنيسة وتعاليمها الأساسية ليوسابيوس المؤرخ المشهور .

(٣) كتب غريغوريوس أسقف قيصرية ، وديونسيوس أسقف الإسكندرية ، وكبريانوس أسقف قرطجنة وكلها تحتوى علي دراسة للعقائد المسيحية ، وتفسير لبعض الآيات الكتابية ، وكثير من الحوادث التاريخية التى جرت فى القرنين الأول والثانى .

وقد أحصى العلامة « ميل » والسير « دافيد » وغيرهما من العلماء ، الآيات التى اقتبسها أصحاب الكتب المذكورة ، فوجدوا أنها تبلغ حوالى ثلاثة أرباع الآيات الواردة فى الكتاب المقدس الذى بين أيدينا ، وتحوى كل آيات العهد الجديد ماعدا إحدى عشرة آية . كما وجدوا أنه ليس هناك اقتباس فى هذه الكتب إلا وهو موجود فى هذا الكتاب . وقال غيرهم من العلماء ، إنه **لو ضاعت نسخ الكتاب المقدس الحالى من الوجود ، لأمكن جمع معظمه من الكتب الدينية السابق ذكرها** ، الأمر الذى يدل على أن نسخة الكتاب المقدس الحالية هى هى كما كانت منذ القرون الأول ، دون تغيير أو تبديل .

٤ – شهادة بعض العلماء عن صدق الكتاب المقدس :

أ – شهادتهم عن صدق العهد الجديد (الإنجيل) :

(١) قال چان چاك روسو : « أتقولون إن مايرويه الإنجيل اختراع متقن ! كلا . إن الاختراع لايكون على هذا النحو ، فإن درجة التحقق من أعمال سقراط التى لايشك أحد فى صدقها ، أقل من درجة التحقق من أعمال المسيح الواردة فى الإنجيل » .

(٢) وقال هرناك أكبر علماء النقد : « ظن ستروس فى أوائل القرن التاسع عشر أن الإنجيل ليست له قيمة تاريخية ، لكن اجتهاد جيلين من علماء النقد والتاريخ أعاد إليه قيمته من هذه الناحية ، إذ ثبت أنه يرجع إلى الحقبة اليهودية الأصلية من الدين المسيحى » .

(٣) وقال جولشر أحد علماء النقد أيضاً : « الأناجيل مستندات قوية لتاريخ يسوع المسيح » .

(٤) وقال سير فريزر أستاذ علم الدين المقارن : « وجود الإنجيل الحالى منذ القرن الأول مؤيد بشهادة تاريخية لامجال للشك فيها » .

(٥) وقال دكتور برايت : « بفضل إكتشافات قمران ، أصبحنا نوقن أن العهد الجديد هو هو ، كما كُتب بواسطة تلاميذ المسيح . وأن كل الأحداث الواردة فيه ، يرجع تاريخها إلى الفترة مابين ٢٥ و ٨٠ ميلادية » .

(٦) وقال السير وليم رمزى في كتاب شهادة الاكتشافات الحديثة لصدق العهد الجديد : « كنت أعتقد أن سفر أعمال الرسل كُتب بعد الحوادث التى دوِّنت فيه حقبة طويلة من الزمن . ولكن بدراستى للوثائق الرومانية اتضح لى أنى كنت مخطئاً فى اعتقادى »

(٧) وقال الأب لاجرانج مدير المعهد الكتابى : « لايوجد الآن أى عالم حقيقى يشك فى صدق العهد الجديد ، ولذلك أصبح الدفاع عنه مضيعة للوقت » .

ب - شهادتهم عن صدق العهد القديم (التوراة) :

(١) قال دانا العالم الجيولوجى والمسيو كوفييه ومستر سميث العالم الإنجليزى : « أثبتت مواضع الاتفاق بين قصة الخلق الواردة فى التوراة وبين تاريخ الأرض المأخوذ من الاكتشافات الطبيعية ، صدق انتساب الكتاب المقدس إلى أصلٍ إلهى » .

(٢) وقال الأستاذ ولى : « تأيد صدق حادثة الطوفان الواردة فى سفر التكوين ، لأنه بالبحث فى طبيعة أرض العراق ، وجدت طبقات من الغرين عمقها ٨ أقدام . وتحت هذه الطبقات وجدت آثار أقدم المدنيات المعروفة لغاية الآن » .

(٣) وقال أحد علماء اللغة الأشورية : « ثبت صدق حروب الملوك ضد سدوم وعمورة التى ذكرها سفر التكوين (١٤ : ١٧ - ٢٣) من الكتابات الأشورية التى اكتشفت حديثاً » .

(٤) وقال العلامة نيابور : « الحوادث التاريخية الواردة فى العهد القديم صادقة كل الصدق ، فهى تنبئنا بكل دقة عن هزائم اليهود ، كما تنبئنا عن انتصاراتهم فى العهد المذكور » .

ج – شهاداتهم عن صدق الكتاب المقدس بصفة عامة :

(١) قال إسحق نيوتن : « أثبت البحث النزيه صدق الكتاب المقدس ، وأن كل ماجاء به يحمل فى طياته البراهين الكافية على صدقه » .

(٢) وقال رينان بعد زيارته لفلسطين : « تجلىّ أمامى الآن تاريخ الكتاب المقدس الذى كنت أشك فى صدقه بصورةٍ أثارت إعجابى ودهشتى » .

(٣) وقال غيره : « على الرغم من أن كَتَبَة الكتاب المقدس لم يقصدوا به تاريخاً بحتاً ، غير أنه أصدق مرجع تاريخى للعصور التى تشير إليها . وتدل القرائن على أنه لم يعد هناك مجال لنقده أو الاعتراض عليه » .

(٤) وقال أحد أعضاء جميعة الاكتشافات الفلسطينية بقيادة السير جيمز نيل : « ياله من أمرٍ عجيب ! كنا نظن فى أول الأمر أننا سنجد أخطاء كثيرة فى الكتاب المقدس ، ولكن لم نكن نمكث ثلاثة أسابيع فى مكان من الحفريات ، إلا وكنا نتحقق أن هذا الكتاب كتب بكل دقة وعناية » .

(٥) وقال سبرجن : « نحن لاندافع عن الكتاب المقدس ، لكنه هو يدافع عن نفسه » .

(٦) وقالِ وستكوت : « ليس هناك دليل على وجود أى اتفاق مقصود بين كَتَبَة أسفار الكتاب المقدس ، وهذا دليل على نزاهتهم »

(٧) وقال أودلف سفير اليهودى المتنصّر : « للكتاب المقدس هدف واحد ، فليس هناك أى تعارض بين العهدين القديم والجديد ، فالعلاقة بينهما مثل العلاقة بينِ المسألة وحلّها ، أو أساس البيت وجدرانه ، مما يدل على أن كتبته جميعاً كانوا منقادين بروح اللّه نفسه » .

(٨) وقال هنرى مارتن : « يشبه الكتاب المقدس قصراً بناه كثيرون ، ولكن الذى وضع تصميمه شخص واحد » . أى أنه كله موحى به من الله .

(٩) وقال الأستاذ فيليب مورو : « من يتتّبع تاريخ الفكر البشرى يتضح له عدم استقراره علي حالة واحدة ، فآراء الناس تختلف باختلاف عقولهم وباختلاف البلاد والعصور التى يعيشون فيها . أما الكتاب المقدس فعلى الرغم من اختلاف الذين كتبوه (من جهة ثقافتهم والبلاد والعصور التى عاشوا فيها) فليس هناك أى اختلاف أو أى تعارض فى ما كتبوه ، مما يدل على أنهم لم يكونوا إلا آلاتٍ فى يد اللّه نفسه » .

الفصل الثالث
سلامة الإنجيل من الناحية العقلية

١ - استحالة حدوث التحريف ، ووجود إنجيل واحد للمسيحيين :

لايمكن أن يكون المؤمنون الحقيقيون قد قاموا بإجراء أى تحريف فى الإنجيل ، لأن هذا العمل وزر لايمكن أن يكون قد خطر ببال واحدٍ منهم . ولايمكن أيضاً أن يكون بعض المؤمنين بالاسم قد قاموا بالتحريف المزعوم فى نسخ الإنجيل التى كانت بين أيديهم ، لأنهم لو كانوا قد قاموا به ، لثار المؤمنون الحقيقيون ضدهم وقضوا عليه . ولو فرضنا جدلاً أن المؤمنين الحقيقيين لم يقضوا على التحريف المزعوم ، لكان يوجد الآن إنجيلان مختلفان ، الأول هو الخالى من التحريف ، والثانى هو المصاب به . ولكن لا يوجد سوى إنجيل واحد ، هو المستعمل لدى جميع المسيحيين فى كل العصور والبلاد . فالقول بحدوث تحريف فى الإنجيل لايتفق مع العقل على الإطلاق .

٢ - بقاء الآيات التى تتعارض فى ظاهرها مع عظمة المسيح ، ووحدانية الله :

هدف التحريف أو التزوير (كما نعلم) هو الحصول على فائدة ما . فلو فرضنا جدلاً أن بعض المسيحيين سوّلت لهم نفوسهم أن يحرفوا شيئاً من الإنجيل لَحَذفوا ما يأتى :

(أ) الآيات التى تتعارض فى ظاهرها مع عظمة المسيح مثل الآيات الخاصة بولادته فى مذود للغنم (لوقا ٢ : ٧) وهروبه إلى أرض مصر ، واحتقار بعض الناس له واتهامهم إياه بأنه مختل وبه شيطان (متى ١٣ : ٥٥ ومرقس ٣ : ٢١ ، ٢٢ ويوحنا ٧ : ٢٠) . وكذلك الآيات الخاصة باعتراض أحد تلاميذه عليه وإنكار علاقته به ، وخيانة يهوذا وتسليمه المسيح لليهود ليصلبوه طمعاً فى دريهمات معدودات ، وهروب باقى التلاميذ وتركهم إياه وحيداً (الواردة فى متى ٢٦ : ١٥ ، ٥٦ ، ٧٤) ، وغير ذلك من الآيات التى كان الوثنيون يعيِّرون المسيحيين بها .

ومن ناحية أخرى لكانوا قد أسندوا إلى المسيح عمل المعجزات منذ طفولته ، وقبول السجود من الحيوانات والأشجار ، والتصفيق من الجبال والتلال . ولوصفوه أيضاً بملاحة الوجه وطول القامة واعتدال القوام وقوة العضلات وغزارة الشعر . ولأطنبوا كذلك فى ذكر صفاته وحسَبه ونسَبه وغيرها من الأمور التى كان يتفاخر الناس بها قديماً .

(ب) الآيات الخاصة بأن الله الواحد الأحد هو الآب والابن والروح القدس ، والخاصة بأن المسيح هو ابن الله . أو لفسّروها تفسيراً يضع حداً لاعتراضات الوثنيين واليهود . ولم يكن هذا بالأمر العسير عليهم ، كما يتضح مما يلى :

(١) لايُراد « بالآب والابن والروح القدس » المعانى المادية بل الروحية ، كما لايُراد بهم أقانيم منفصل أحدهم عن الآخر ، بل يراد

بهم ذات واحدة هى ذات الله ، وذلك من جهة كونه ذا علاقات بينه وبين ذاته أزلاً ، وبينه وبيننا فى الزمان . وقد بحث العلماء عقيدتنا هذه ، فقال ابن رشد فى كتاب « تهافت التهافت ص ٣٢ » : « إن النصارى لايرون أن الأقانيم زائدة عن الذات ، وإنما هى عندهم كثيرة بالقوة لا بالفعل . ولذلك يقولون إن الله ثلاثة وواحد . أى واحد بالفعل وثلاثة بالقوة » . وقال غيره فى كتاب « العقائد النسفية ص ١٦٢ » : « لامخالف فى مسألة توحيد واجب الوجود إلا الثنوية ، دون النصارى » (هم الذين كانوا يعتقدون بوجود إلهين : أحدهما للخير أو النور ، والآخر للشر أو الظلمة) . وقال الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتاب « الله — ص ١٧١ » : « الأقانيم (عند المسيحيين) جوهر واحد ، و « الكلمة » و « الآب » وجود واحد . وحين تقول « الآب » لاتدل على ذات منفصلة عن « الابن » لأنه لا انفصال ولا تركيب فى الذات الإلهية » . والأقنوم كلمة سريانية يراد بها من يتميَّز عن غيره دون أن يكون له ظل . وفى الوقت نفسه يتحد مع آخر فى الذاتية والجوهر بكل خصائصهما ومميزاتهما . ولذلك لاتطلق هذه الكلمة إلا على كل من « الآب والابن والروح القدس » لأنهم ذات الله الواحد .

ولإزالة كل لبس من جهة اعتقادنا ، نحن المسيحيين ، فى ذات الله ، نقول بكل اختصار : « إن الله يتصف بصفات إيجابية مثل المحبة والعلم والإرادة والبصر والسمع والكلام . وهذه الصفات

لايمكن أنها كانت عاطلة أزلا ، ثم صارت عاملة عندما خلق الكائنات ، بل لابد أنها كانت عاملة أزلاً قبل خلق هذه الكائنات . وإلا كان تعالى قد تغير وتطور (فأخذ يحب بعد أن كان لايحب ، ويريد بعد أن كان لايريد ، وهلم جرا) ، والحال أنه لايتغير ولايتطور ، وعمل صفات الله أزلا يتطلب إما وجود أزليين معه ، أو وجودتركيب فى ذاته . وبما أنه ليس هناك أزلى سواه ، وفى الوقت نفسه ليس هناك تركيب فيه بحال ، إذن لابد أنه كان يمارس صفاته بينه وبين ذاته نفسها .

وإذا كان الأمر كذلك ، لاتكون وحدانيته ، وحدانية مطلقة بل وحدانية شاملة أو جامعة — وقد عرف هذه الحقيقة معظم علماء الكلام . فمثلا قال البيجورى : « والحاصل أن الوحدانية الشاملة هى وحدانية الصفات ووحدانية الأفعال » . وقال غيره : « وحيث أن صفاته تعالى حقيقية ، لم يكن بسيطاً من كل وجه » . وقال صاحب التحقيق « أرى الكثرة فى الواحد . وإن اختلفت حقائقها وكثرت ، فإنها عين واحدة . فهذه كثرة معقولة فى واحد العين » وقال الشيخ محيى الدين بن عربى : « أمرنا بالاستفادة بالاسم الجامع » الذى هو أحد اسماء الله الحسنى المعروفة . وقال أيضاً : « الله عين ماظهر وعين مابطن . فالأمر حيرة فى حيرة . واحد فى كثرة وكثرة مردها إلى واحد » . وقال غيره : « من غلبت عليه الوحدة من كل وجه . كان على خطر » (مشكلة الإلوهية ، وفصوص الحكم ، وحاشية الأمير على الجوهرة ، وتحفة المريد على

جوهرة التوحيد) – وقد بحثنا هذا الموضوع بالتفصيل فى كتب « الله » الثلاثة ، فليرجع إليها القارئ إذا أراد .

(٢) أما من جهة الاصطلاح « ابن الله » ، فلا يُراد به المعنى الحرفى كما ذكرنا لأن الله لم يلد ولم يولد ، إذ أنه روح محض (يوحنا ٤ : ٢٤) ، بل يراد به المعنى الروحىّ . والمعنى الروحىّ للابن بالنسبة إلى الله ، هو « المعلن لذاته تعالى » .

ولذلك يدعى « ابن الله » ، « كلمة الله » ، لأن كلمة الكائن هى التى تعلن ذاته . وقد أشار المسيح إلى هذه الحقيقة فقال عن نفسه « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ : ٦) . وبهذه المناسبة نقول : إذا كان من اللازم لكمال الله أن يكون قائماً بكلمة أزلاً (لأنه لولا ذلك ، لكان قد تعرض للتغير ، إذ يكون بدون كلمة أصلا ، ثم اتخذ له كلمة) ، أدركنا أن المسيح من الناحية الجوهرية ، هو الذى يعلن الله لذاته منذ الأزل الذى لابدء له . ومن الناحية الجسدية التى اتخذها من العذراء ، هو الذى أعلن الله لنا ، عندما كان له المجد على الأرض بيننا .

وقد أدرك هذه الحقيقة بعض العلماء ، فقال الشيخ أبو الفضل القرشى : « يمكن أن يكون المراد أن اللاهوت ظهر فى المسيح ، وهذا لايستلزم الكفر ، وأنه لا إله إلا الله » (حاشيته على تفسير البيضاوى ج٣ ص ١٤٢) . وقال الأستاذ عباس محمود العقاد : « جاء السيد المسيح بصورة جميلة للذات الإلهية » (الله – ص ١٥٩) ، وصورة جميلة للذات الإلهية هى صورة كاملة له .

وصورة مثل هذه لايمكن أن يُعلنها إلا الله ، أو أقنوم من أقانيمه . لأن البشر والملائكة جميعاً كائنات محدودة ، وفى الوقت نفسه مُعرّضة للخطأ ، ومن ثَمَ لايمكن أن يأتى واحد من أولئك أو هؤلاء بهذه الصورة على الاطلاق . ولذلك لايكون « ابن الله » هو « المعلن لله » فقط ، بل يكون أيضا هو « الله معلَناً » ، لأنه لايعلن ذات الله إلا الله - وهذا الحق كان معروفاً كل المعرفة لدى اليهود المعاصرين للمسيح (يوحنا ٥ : ١٨) بسبب وجود إشارة عنه فى توراتهم (مزمور ٢ : ٧ - ٩ ، أمثال ٣٠ : ٤) .

(وكل مافى الأمر أنهم كانوا يظنون أن ابن الله لايأتى إلى العالم ، إلا فى مظهر القوة والبطش ، وليس بالمحبة والتواضع كما جاء المسيح ، ومن ثم حاولوا قتله أكثر من مرة إذ اعتبروه مجدفاً ، والحال أنه كان صادقاً كل الصدق) .

كما أن هذا التفسير الذى ذكرناه عن معنى « ابن الله » ، ليس بالأمر الغريب عنا نحن الناطقين بالضاد ، فنحن نقول « بنات الفكر » بمعنى الفكر مُعلَناً وجلياً .

٣ - بقاء الآيات التى تتعارض مع غرائز البشر وميولهم .

ولو فرضنا أيضاً أن بعض المسيحيين حرّفوا شيئاً من الإنجيل ، لحذفوا منه الآيات التى تنهى عن الطلاق وعن محبة المال ، والتى توصى بالمحبة للأعداء والاحسان إليهم والصلاة لأجلهم (إن الله يطلب منا القيام بذلك ليس خوفاً منه ، بل مشاركة له فى العطف عليهم و حتى تستيقظ ضمائرهم ويتوبوا عن خطاياهم) .

الواردة فى (متى ١٥:٣١ ، ٣٢ ، ٥ : ٤٣-٤٨، ٦ : ١٩-٣٤) ، وغير ذلك من الآيات التى تنفّر معظم البشر من المسيحية . ومن ناحية آخرى ، لأضافوا إلى الأنجيل العبارات التى تفتح المجال أمام البشر للقيام بالأعمال التى تميل إليها غرائزهم (مثل الأخذ بالثأر ، والزواج بأكثر من واحدة ، وجمع المال وتكديسه) ، وفى الوقت نفسه تسهل أمامهم طرق الحصول على غفران الخطايا التى يرتكبونها (وذلك بالصيام لبضعة أيام أو اعطاء شئ من المال للفقراء ، أو القيام ببعض الصلوات) ، والتى تصور لهم أيضاً متع الحياة الأخرى بصورة تأخذ بمجامع قلوبهم ، مثل الأطعمة الشهية والملذات الجسدية وماشاكلها من متع ، حتى يعتنقوا المسيحية .

لكن بالرجوع إلى الإنجيل يتضح لنا مايأتى :

١ - أنه ينهى عن مقابلة الشر بالشر (متى ٥ : ٣٩-٤١) وذلك حسما لهومنعاً من انتشاره . وينهى عن الزواج بأكثر من واحدة (ملاخى ٢ : ١٥) لكبح جماح الشهوات وضمان سلامة الأسرة . وينهى عن تكديس المال (متى ٦ : ١٩ - ٢١) لإفادة كثيرين منه . ومن الناحية الأخرى يوصى بالسلوك بالقداسة والأمانة حتى نكون كاملين كما أن الله كامل (متى ٥ : ٤٨) .

٢ - وأنه يعلن أن الخطيئة ، حتى إذا كانت بالفكر أو القول ، تحرم صاحبها من التوافق مع الله ، لأنه تعالى كامل . ولايتوافق مع الكامل إلا الكامل . ولذلك فإن عقاب الخطيئة في أصغر مظاهرها هو الحرمان الأبدى من الله ، أو بالحري هو الطرح فى جهنم إلى أبد الآبدين (متى ٥ : ٢٢) . كما يعلن أن الأعمال الصالحة

لاتستطيع التكفير عن الخطيئة . لأن هذه الأعمال مهما كثرت هى محدودة فى قدرها ، وحق الله الذى أسئ إليه بسببها لاحدَّ لقدره . والأشياء المحدودة فى قدرها لاتستطيع إيفاء مطالب أمر لاحدَّ لقدره . ومن ناحية أخرى بما أنه لو غفر الله خطايانا دون مراعاة لحقوق عدالته ، لكانت رحمته قد طغت على عدالته ، ومحبته على قداسته . وهذا مالايجوز حدوثه فى ذات الله ، لأنه لكماله المطلق لاتطغى فيه صفة على صفة أخرى . لذلك كان من البديهى أن يقوم الله بايفاء مطالب عدالته وقداسته بينه وبين نفسه ، أو بالحرى أن يتقبَّل فيها عارَ خطايانا وقصاصَها على نحو ما ، قبل أن يغفرها لنا . وهذا هو عين مافعله فى موت المسيح الكفارى على الصليب (راجع كتابنا « كفارة المسيح ») .

٣ - أخيراً إن الإنجيل يعلن لنا أن الحياة الأخرى لامجال فيها للأكل أو الشرب أو الزواج (رومية ١٤ : ٦ ، ٧ ، متى ٢٢ : ٣٠) ، لأن المؤمنين الحقيقيين سيكونون هناك كملائكة الله ، لذَّتهم الوحيدة هى التمتع بجلاله وتقديم العبادة اللائقة به بكل محبة وسرور .

* * *

مما تقدم يتضح لنا أن الإنجيل خال خلواً تاماً من الوصايا التى تجبب معظم الناس فى المسيحية . وفى الوقت نفسه ملئ بالوصايا التى تنفرهم منها ، رضوا بذلك أم لم يرضوا ، ومن ثمَّ لايعقل إطلاقا أن يكون بعض المسيحيين قد سوّلت لهم نفوسهم أن يحذفوا من الإنجيل شيئاً ، أو يضيفوا إليه شيئاً آخر .

الفصل الرابع
سلامة الإنجيل من الناحية الموضوعية

كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن القائم بالتحريف يكون متأثراً بعقائد وعادات البشر التى يعرفها ، وأن تعاليم الإنجيل خالية خلواً تاماً من أى أثر لهذه وتلك ، اتضح لنا بكل جلاء أنه لايمكن أن تكون يد التحريف قد امتدت إليه . وللإيضاح نتحدث فيما يلى عن العقائد والعادات التى كانت منتشرة بين اليهود ، والوثنيين مثل الرومان واليونان ، الذين عاش بينهم المسيحيون الأوائل ، ثم نقارنها بعد ذلك بما ورد فى الإنجيل من تعاليم .

أولا : عقائد وعادات اليهود والوثنيين فى القرون الأولى :

١ - عقائد اليهود وعاداتهم : فاليهود مع إيمانهم بكمال الله وقدرته ، كانوا يعتقدون أنه هو الذى يرسل الخير والشر معاً إلى النـاس . وأنه لايتصل بالأتقياء منهم مباشرة بل بواسطة ملائكة . فالملائكة هى التى تحمل عطاياه إليهم ، وترفع عبادتهم إليه . وأن العبادة يجب أن تكون فى أورشليم وحدها ، وأنها (أى العبادة) لاتقوم لها قائمة إلا بواسطة الذبائح والطقوس . وأن الاغتسال بالماء ضرورى جداً قبل القيام بها ، وأن حق الاقتراب إلى الله مقصور على أهل الختان ، لأن غير المختون كان يعتبر نجساً أمامه . وأن تقاليد الآباء هى فى مرتبة الناموس الذى أعطاه الله لموسى النبى ، ولذلك

يجب احترامها مثله ، حتى إذا كانت متعارضة معـه فى بعض الأمـور .

كما كانوا يعتقدون أنهم بسبب انتسابهم الجسدى إلى إبراهيم الخليل . هم وحدهم شعب الله المختار . ومن ثم إذا صافحوا إنساناً من جنس آخر أو تعاملوا معه فى بيع أو شراء (مثلا) ، كانوا يغسلون أيديهم وينفضون الغبار الذى علق بثيابهم منه قبل الدخول إلى منازلهم . وأن يوم السبت يوم مقدس يحرمون فيه حتى عمل الخير ، ومجرد قطف السنابل من الحقول لأكلها ، بل ومجرد تطلع امرأة إلى المرآة ، وذلك خشية أن تجد شعرة بيضاء فى رأسها ، فتنزعها فى هذا اليوم . كما كانوا يعتقدون أن النساء طبقة حقيرة ، ولذلك كان الرجال يشكرون الله فـى صلواتهم لأنه لم يخلقهم نساء . وأن رجال الدين مهما كانت أخلاقهم يستحقون كل إكرام وإحترام ، ولذلك كانوا يُطلقون عليهم « الربيين » أى « السادة » .

وبالإضافة إلى ذلك كانوا يحبون الصلاة فى الأزقّـة والشـوارع ، وتقديم الصدقات على مرأى من الناس . كما كانوا يعتبرون حتى الأكل بدون أيد مغسولة ، نجاسة يتجنبونها تماما . وتحت هذا الستار الدينى ، أو بالحرى الرياء الدينى ، كانوا يستبيحون كل الشرور والآثام . كما كانوا يبيحون تعدد الزوجات ، وكذلك الطلاق لأتفه الأسباب . فقد كان عدم إتقان الزوجة لطهى الطعام مرة ، أو تحدثها مع رجل فى أى موضوع من الموضوعات ، سبباً كافياً لطلاقها .

٢ - عقائد الوثنيين وعاداتهم : وكان السواد الأعظم من هؤلاء يعبدون الكواكب والأوثان والأباطرة والعظماء . أما الفلاسفة الذين سمت مداركهم واهتدوا إلى وجوب وجود خالق عظيم للكون ، فقد قال بعضهم إنه الأثير ، وقال بعض آخر إنه موجود لايتصف بصفة إيجابية ولا تربطه بالعالم رابطة حقيقية . وكانوا يعتقدون أن المادة أزلية وأنها هى السبب فى وجود الشر فى العالم ، وأن الكواكب لها نفوس تحركها فى أفلاكها . وأن أرواح البشر خلقت قبل ولادة أجسادهم من أمهاتهم . وأنها تحيا فى هذه الأجساد ليس وفقا لمشيئتها بل وفقا لأحكام القدر . وانها تتناسخ بعد موت أجسادها فى حيوانات ، تأديبا لها على ماتكون قد ارتكبته من آثام . ومن ثمّ كان كثيرون ينكرون البعث ، أو بالحرى القيامة من الأموات .

وكان اليونان والرومان يعتقدون أنهم وحدهم هم الحكماء ، وأن باقى الناس برابرة أو جهلاء . كما كانوا لايشفقون على طفل صغير أو شاب فى مقتبل العمر أو شيخ كلل الشيب رأسه ، بل كانوا يقتلون الأول والثالث إذا كان أحدهما هزيلا . والثانى إذا كان وجهه قبيحاً . وبالإضافة إلى ذلك كانوا يطلقون العنان للغريزة الجنسية لكى ينالوا رضى الآلهات لديهم ، كما كانوا يزعمون !! .

ثانيا : خلو الإنجيل من العادات والعقائد اليهودية والوثنية :

فإذا نظرنا إلى العقائد والعادات السابقة ، لانرى أثراً لها فى الإنجيل ، كما يتضح مما يلى :

١ – فهو يُعلن أنه لا إله إلا الله ، وأنه وحده هو الأزلى ، وأن كل ماعداه مخلوق بواسطته . وأن الكواكب تتحرك فى أفلاكها ، ليس بواسطة نفوس ، بل بواسطة النظام الذى وضعه الله لها . وأن أرواح البشر لم يكن لها وجود قبل أجسادهم ، بل أنها تولد معها . وأنها تحيا فى العالم ليس بقوة الجبر أو القدر ، بل بمطلق حريتها وإرادتها . كما أنها لاتنطلق بعد موت أجسادها إلى الحيوانات ، بل إما إلى الهاوية أو إلى الفردوس .

٢ – ويعلن أن الله يتصف بكل صفات الكمال الإيجابية ، وأنه يتصل بالمؤمنين الحقيقيين اتصالاً مباشراً ، وأنه مصدر الخير لهم ولغيرهم من البشر . أما الشر الذى يُصيب بعضهم ، فإنه ليس إلا نتيجة لسوء تصرفهم . وأن العبادة تكون للّه وحده ،وأنها يمكن أن تكون فى أى مكان . لأنه تعالى لا يتحيَّز بحيِّز ، ولأنه أيضاً ليس هناك مكان أفضل من آخر لديه . وأن الطقوس والنظم الدينية مهما كانت جميلة وجذابة فى نظر الناس ، ليست بذات قيمة أمامه ، لأن العبادة التى يرتضيها هى ما كانت بالروح والحق . وأن تقديم الذبائح الحيوانية كفارة عن الخطيئة أصبح دون جدوى بعد كفارة المسيح ، لأنها وفَّت كل مطالب عدالة الله وقداسته من جهة المؤمنين الحقيقيين . وأن العبادة إذا كانت فردية ، يجب أن تكون فى الخفاء ، وهكذا يجب أن تكون الصدقة ، حتى تكون كلتاهما لله دون سواه . أما الاغتسال الذى يجب أن نقوم به قبل الصلاة ، فليس تنظيف بعض أجزاء الجسم بالماء ، بل إزالة الأفكار الشريرة من النفس ، حتى تتهيأ للاتصال بالله والتمتع به .

٣ – ويُعلن أن الناس جميعاً سواسية أمام الله ، فلا فرق بين أبيض وأسود أمامه . وأن مجرد الانتساب الجسدى إلى نبى من الأنبياء أو رسول من الرسل لايعود على أحد من ذريته أو تابعيه بخير ما ، إذ المهم هو الانتساب الروحىّ لله والسير فى سبيله بالإيمان . وأن رجال الدين مهما كانت مكانتهم فى العالم ، هم خدام للمؤمنين وليسوا رؤساء عليهم . كما أنهم إذا كانوا أشراراً يجب نبذهم والتحول عنهم ، إذ أن مكانتهم لاتتوقف على مراكزهم بل على سلوكهم . وأن الدستور الذى يجب أن يسير عليه رجال الدين وغيرهم من الناس هو « كلمة الله » دون سواها ، لأن تقاليد القدماء ، وإن كانت تتضمن بعض الفوائد ، غير أنها لاتخلو من الخطأ ، إذ أن هؤلاء ليسوا معصومين فى التعليم أو السلوك . وأن الختان الذى يتطلبه الله ليس هو الختان الجسدى بل الختان الروحىّ ، أو بالحرى نزع الخطيئة من القلب تماما .

٤– ويعلن أن الخطيئة ليست هى فعل الشر فحسب ، بل وأنها أيضاً هى مجرد التفكير فيه (أمثال ٢٤ : ٩) ، والتفوه به (متى ٥ : ٢٢) . كما أنها هى التقصير فى عمل الخير (يعقوب ٤ : ١٧) والانصراف الذهنى عن الله (مزمور ٩ : ١٧) .

وتقديس يوم فى الأسبوع لايراد به الكف فيه حتى عن الأعمال الخيرية ، بل بالعكس يراد به التفرغ للقيام بهذه الأعمال ، بالاضافة إلى عبادة الله وتمجيده . والأكل والشرب وغيرهما من الأعمال الضرورية ، التى لايمكن تأجيلها إلى يوم آخر ، لاحرج

على المؤمنين من القيام بها فى اليوم المذكور . وأن المرأة ليست أقل من الرجل ولا الرجل أعظم من المرأة ، بل أنهما واحد أمام الله . وأن الطلاق وتعدد الزوجات غير جائزين ، لأن الله خلق من البدء امرأة واحدة لرجل واحد ، وجعلها بمثابة لحم من لحمه وعظم من عظامه ، ولذلك فلا طلاق بينهما إلا لعلة الزنا .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه لم يحدث أى تغيير فى الإنجيل بل إنه باقٍ كما هو ، وحى الله الذى يسمو فوق آراء البشر وتصوراتهم فى كل العصور والبلاد .

الفصل الخامس
سلامة الإنجيل من الناحية الدينية

١ - وجود رموز ونبوّات فى العهد القديم تشير إلى الكثير مما جاء فى الإنجيل :

أوحى الله بالعهد القديم إلى موسى النبى وغيره من أنبياء إسرائيل ، ويتمسك به اليهود الذين لا يؤمنون بالمسيحية لغاية الآن . والعهد القديم ملئ بالرموز والنبوات عن المسيح ، وولادته العذراوية ، واسم الأسرة التى يولد منها ، والبلدة التى يولد فيها . وتدل تلك النبوات أيضاً على أعماله وصفاته ، وموته كفارة عن البشر وقيامته بعد ذلك من بين الأموات ، وغير ذلك من الأمور الخاصة به . وبمضاهاة هذه النبوات وتطبيق تلك الرموز على ماورد فى الإنجيل عن المسيح ، نرى أن كلاً منها ينطبق عليه كل الانطباق .

فمن جهة شخصيته قارن مثلاً إشعياء ٩ : ٦ مع لوقا ١ : ٣٢ ، ٣٣ . ومن جهة ولادته العذراوية قارن إشعياء ٧ : ١٤ مع لوقا ١ : ٣١ . ومن جهة الأسرة التى يولد منها قارن ميخا ٥ : ٢ مع متى ١ : ٢ ، ٣ و ٢ : ٥ ، ٦ . ومن جهة أعماله وتصرفاته قارن إشعياء ٤٢ : ١ - ٩ مع متى ١٢ : ١٤ - ٢١ . ومن جهة موته كفارة قارن إشعياء ٥٣ مع يوحنا ١٠ : ١١ . ومن جهة قيامته من بين الأموات قارن مزمور ١٦ : ١٠ مع متى ٢٨ : ٦ الأمر الذى يدل على عدم حدوث أى تحريف فى الإنجيل .

وقد قام عالم رياضيات أمريكى اسمه « بيتر ستونر » بحساب نسبة تحقيق ٤٨ نبوة (وهى التى يمكن حساب نسبة تحقيقها رياضياً) بطريق الصدفة ، فوجد أن لها فرصة واحدة ، من بين عدد هو واحد أمامه ١٨١ صفراً من الفرص . فمن المستحيل أن يكون تحقيق تلك النبوات بطريق الصدفة ! .

٢ - تحريض الوحى على التمسك الشديد بكل آياته ، وإنذاره لمن يزيد عليها أو يحذف منها :

أمر الله من جهة آياته : « اربطها على قلبك دائماً . قلّد بها عنقك . إذا ذهبت تهديك . إذا نمت تحرسك . وإذا استيقظت فهى تحدّثك (أمثال ٦ : ٢١ ، ٢٢) وأمر أيضاً : « لتكن .. على قلبك .. وقصّها على أولادك . وتكلم بها حين تجلس فى بيتك ، وحين تمشى فى الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم . اربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك . واكتبها على قوائم أبواب بيتك ، وعلى أبوابك » (تثنية ٦ : ٦ - ٩) . وأيضاً : « لا تمِل عنها يميناً أو شمالاً لكى تفلح حيثما تذهب . لايبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهاراً وليلاً لكى تتحفّظ للعمل حسب كل ماهو مكتوب فيه » (يشوع ١ : ٧ ، ٨) .

كما أمرهم : « ولاتزيدوا على الكلام .. ولاتنقصوا منه ، لكى تحفظوا وصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم بها » (تثنية ٤ : ٢) . و « كل الكلام الذى أوصيكم به ، احرصوا لتعملوه . لاتزد عليه ولاتنقص منه » (تثنية ١٢ : ٣٢) . وحذّرهم : « إن كان أحد يزيد على هذا (أى كتاب النبوّة) يزيد الله عليه الضربات المكتوبة

فى هذا الكتاب . وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هـذه النبـوة ، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة » (رؤيا ٢٢ : ١٨ ، ١٩) فلا يمكن لمسيحى أن يحذف كلمة من الكتاب المقدس أو يضيف أخرى إليه .

٣ - ترحيب المسيحيين بالاضطهاد فى سبيل التمسُّك بما جاء فى الإنجيل :

أ - لو أن المسيحيين الأوائل حرَّفوا آية من الآيات الخاصة بشخصية المسيح أو موته الكفارى نيابة عن البشر (اللذَيْن هما أهم موضوعات الكتاب المقدس) لما كانوا يعرِّضون أنفسهم للاضطهادات القاسية التى كانت تحلّ بهم منذ القرون الأولى ، من اليهود والوثنيين على السواء ، بسبب هذين الموضوعين . لأنه ليس هناك عاقل يعرِّض نفسه للاضطهاد بسبب أمرٍ لانصيب له من الصواب ، زوَّره واختلقه هو بنفسه ! .

وقد أشار الأستاذ عباس محمود العقاد إلى هذه الحقيقة فقال : « ومن بدع (أهل) القرن العشرين سهولة الاتهام كلما نظروا فى تاريخ الأقدمين فوجدوا فى كلامهم أنباء لايسيغونها وصفات لايشاهدونها ولايعقلونها . ومن ذلك اتهامهم الرسل بالكذب فيما كانوا يثبتونه من أعاجيب العيان أو أعاجيب النقل . ولكننا نعتقد أن التاريخ الصحيح يأبى هذا الاتهام ، لأنه أصعب تصديقاً من القول بأن أولئك العداة أبرياء من تعمُّد الكذب والاختلاق . فشتّان عمل المؤمن الذى لايبالى الموت تصديقاً لعقيدته ، وعمل المحتال الذى

يكذب ، ويعلم أنه يكذب ، وأنه يدعو الناس إلى الأكاذيب . مثل هذا لايُقدم على الموت فى سبيل عقيدة مدخولة ، وهو أول من يعلم زيفها وخداعها . وهيهات أن يوجد بين الكذبة العامدين من يستبسل فى نشر دينه كما استبسل الرسل المسيحيون . فإذا كان المؤلف الصادق من يأخذ بأقرب القولين إلى التصديق فأقرب القولين أن الرسل لم يكذبوا فى ما رووه ، وفى ماقالوا إنهم رأوه ، أو سمعوه ممن رآه » (عبقرية المسيح ص ١١٨ ، ١٨٩) .

٤ - بطلان الدعوى بوجود اختلاف بين كتبة الإنجيل :

أ - إن مايقال عنه « اختلاف بين كَتَبَة الإنجيل » الذى يتّخذه البعض دليلاً على حدوث تحريف فيه (كما يدّعون) هو اختلاف لفظى فحسب ، وأسبابه :

(١) إن كلاً من كتبة الإنجيل كتب على انفراد .

(٢) وإنه كتب إلى جماعة تختلف عن الجماعات التى كتب إليها الآخرون ، من جهة الثقافة والعادات .

(٣) كما أن كلاً منهم كتب إلى جماعته عن ناحية من شخصية المسيح ، رأى بإرشاد الله ضرورة توجيه أنظارهم إليها بصفة خاصة . فهذا الاختلاف ليس اختلاف التعارض ، بل تنوّع التوافق والانسجام .

ب - فإذا أضفنا إلى ذلك :

(١) أن وجود أربعة كتب لأشخاص مختلفين (من جهة السن والثقافة والطباع والجنسية ، كما ذكرنا فى الفصل الأول)

عن سيرة المسيح ، أفضل جداً لدى الباحثين عن الحقيقة مما لو كان هناك كتاب واحد عن سيرته .

(٢) أن اتفاق الشهود فى حادثة ما ، من جهة كل لفظ فيها ، مدعاة للطعن فى شهادتهم بدعوى التواطؤ ، بينما اختلافهم في اللفظ دون المعنى (مع مراعاة الظروف الثلاثة الخاصة بكتبة الإنجيل) دليل على صدق شهاداتهم .

ج - كان كتبة الإنجيل على درجة سامية من القداسة والأمانة وإنكار الذات ، حتى استطاعوا التأثير على كثيرين من اليهود والوثنيين ، فصرفوهم عن أهوائهم وشهواتهم المتعددة ، وقادوهم إلى حياة الطاعة لله والتوافق معه فى صفاته الأدبية السامية . وهذا يبرهن لنا أنه لامجال للقول بحدوث اختلاف فى الإنجيل ، الأمر الذى يبطل القول بعدم جواز الاعتماد عليه .

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد : « إذا اختلطت الروايات فى أخبار المسيح ، فليس فى هذا الاختلاط بدع ، ولا دليل قاطع على الإنكار ، لأن الأناجيل تضمنت أقوالاً فى مناسبتها لايسهل القول باختلافها ، لأن مواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها والمقارنة بينها وبين آثارها . كما أن مواضع الاتفاق بينها تدل على أنها رسالة واحدة من وحى واحد » (عبقرية المسيح ص ٨٨ - ٩٠ و « الله » ص ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٩٤) .

٥ - بطلان الدعوى بحدوث تحريف في التوارة :

أ - كانت التوارة موجودة فى أيدى اليهود قبل مجئ المسيح بمئات السنين . فكانت هناك نسخ منها فى الهيكل والمجامع والمدارس الدينية . وكان الكهنة واللاويون يقدسون هذه النسخ كل التقديس ويحافظون عليها بكل دقة وعناية (تثنية ٣١ : ٩ و ٢ملوك ٢٢ : ٨) . كما كانت هناك أيضاً نسخ منها فى أيدى القضاة والملوك وأتقياء اليهود والكتبة والفريسيين والناموسيين (تثنية ١٧ : ١٨) . وكان هؤلاء جميعاً يواظبون على قراءتها كل يوم ، كما كانوا يعرفون عدد آياتها وكلماتها وحروفها ، بل وأيضاً عدد المرات التى تستعمل فيها كل كلمة وكل حرف أيضاً .

ب - فضلاً عن ذلك فإنه لخوفهم الشديد من التعرض لقضاء اللهِ المريع إذا حدث خطأ ما فى كتابة التوراة ، كانوا لايعهدون بنَسْخها إلا لفئة خاصة من رجال الدين الملمِّين بها ، وكان هؤلاء يصلّون كثيراً قبل قيامهم بعملهم هذا حتى لايخطئوا . وإذا وصلوا إلى كتابة اسم الجلالة كانو يستبدلون القلم الذى يكتبون به بقلمٍ آخر ، ثم فى خشوع وورع عظيمَيْن يكتبون هذا الاسم الكريم . وعندما يفرغون من كتابة التوراة ، كانوا يسلّمونها إلى غيرهم للمراجعة . وكان هؤلاء يراجعونها كِلمةً كلمة . ولكى لا يكون لديهم شك فى دقة المراجعة كانوا يُحصون عدد كلمات التوراة المكتوبة وعدد حروفها وعدد كل نوع من الحروف أيضاً ، ويطابقون كل ذلك على النسخة الأصلية . فإذا وجدوا أخطاء قليلة ، كتبوا

صوابها . أما إذا وجدوا أخطاء كثيرة ، أحرقوا النسخة التى يراجعونها فى الحال .

ج – فإذا أضفنا إلى ماتقدّم أن المسيح وتلاميذه كانوا يقتبسون فى أقوالهم الكثير مما ورد فى التوراة من نبوات وشرائع ، حتى بلغ ما اقتبسوه من هذه وتلك حوالى ٢٠٠ آية (كما يظهر بكل بيان على صفحات العهد الجديد) اتضح لنا بدليل قاطع أنه لايمكن أن يكون قد أصاب التوراة تحريف ما . ونظراً لأن قدامى العلماء كانوا يثقون كل الثقة أن التوراة هى أقوال الله ، وأنها لم تتعرض لأى تحريف ، كانوا يواظبون على تلاوتها . فمن المأثور عن أبى جلد أنه كان يقرأ القرآن فى سبعة أيام والتوراة في ستة ، يقرأها نظراً ، وكان يومها يقول : « تنزل عند ختمها الرحمة » (ضحى الإسلام ج١ ص ٣٣)

أما مايظنه بعض المسلمين تحريفاً فى آية من آيات التوراة أو الإنجيل ، فيرجع فى الواقع إلى تفسير علماء المسيحيين لها تفسيراً يختلف عما يراه هؤلاء المسلمون . وقد أشار الإمام الرازى إلى هذه الحقيقة فى تفسيره فقال : « كيف يمكن التحريف فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب . ولكنهم يحّرفونه أى يؤوّلونه على غير تأويله » (الرازى فى تفسير البقرة (٢) : ٧٥) .

وبما أنه لم يحدث تحريف فى التوراة أو الإنجيل حتى قرن ١٤م (الذى ظهر فيه مفسّرو القرآن القدامى مثل ابن كثير) فمن البديهى أن لايكون قد حدث تحريف فيهما بعد ذلك ، لأنهما كانا

قد انتشر ا فى بلاد أكثر من التى كانا منتشرين فيها ، كما كانا قد ترجما إلى لغاتٍ أكثر من التى كانا مترجمين إليها . فضلاً عن ذلك فقد أقبل على دراستهما وحفظهما وتفسيرهما أشخاص أكثر جداً من الذين كانوا يفعلون ذلك من قبل ، فى كل البلاد .

ويسجل لنا ابن كثير **فى تفسيره للمائدة ٥ : ٤٣ - ٤٨ وجود نسخة سليمة من التوراة كانت بين يدى نبى الإسلام نفسه** ، عندما جاء بعض اليهود يسألونه عن عقوبة الزنا ، فأخذ الوسادة التى كان يجلس عليها ووضع التوراة فوقها ، ثم أمسك بالتوراة وقال : « آمنتُ بك وبمَن أنزلك » وقد جاء الحديث نفسه **فى سنن أبى داود (مشكاة المصابيح ، تحقيق الألبانى رقم ٤٤٤٩)** .

الكتاب الثانى

« إنجيل برنابا »



تمهيد

لم يكن « برنابا » الوارد ذكره فى الكتاب المقدس واحداً من تلاميذ المسيح ، كما أنه لم يكن من سكان فلسطين الذين شاهدوا أعمال المسيح وسمعوا تعاليمه ، بل كان يهودياً من سكان جزيرة قبرص . ولما سمع الإنجيل بعد صعود المسيح إلى السماء بتسع سنوات تقريباً ، آمن به مثل غيره من اليهود (أعمال ٤ : ٣٦ ، ٣٧). فلو فرضنا جدلاً أنه هو الذى كتب الإنجيل الذى ينسبونه إليه ، لما جاز لأحد أن يصدقه ، لأن الشرط الأساسى فى صدق الإنجيل أن يكون كاتبه واحداً من تلاميذ المسيح ، أو رفيقاً له شاهد بنفسه كل أعماله .

أما الكتاب المسمى الآن « إنجيل برنابا » والذى ترجمه إلى العربية السيد خليل سعادة ، ونشره فى مصر السيد محمد رشيد رضا ، فليست لكاتبه علاقة ببرنابا الذى ذكرناه . ومع أن الكاتب يقول إنه كان أقرب الرسل إلى المسيح وأحبّهم إليه ، غير أنه ليس هناك شخص مسيحى يصدقه أو يقبل كتابه ، لأسباب متعددة سنأتى على ذكرها .

لكن الذين يقبلونه ، هم فقط فريق من إخواننا المسلمين الذين لم يدرسوا محتوياته دراسة دقيقة ، ولكنهم يقبلونه لسببين رئيسيين :

(١) قوله إن المسيح ليس ابن الله ، بل هو إنسان عادى .

(٢) وقوله إنه لم يُصلب بل أُلقى شَبَهه على يهوذا الإسخريوطى ، فصُلب بدله . لكن فضلاً عن أن الإنجيل الموجود بين أيدينا الآن ، هو الإنجيل الحقيقى (كما اتضح لنا فى الكتاب السابق) الأمر الذى لايدع مجالاً للاعتقاد بصدق « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا هذا ، نقول : « إن إنجيله أو بالحرى كتابه ، هو كتاب مزيف أُدخل حديثاً خلسة إلى العالم مثل غيره من الكتب المزيفة ، لتشويه الحقائق المسيحية ونشر آراء مضادة لها ، بهدف تحويل بسطاء المسيحيين عن عقائدهم ، كما يتضح من الفصول التالية .

الفصل الأول
تاريخ كتابة « إنجيل برنابا »

١ – من الناحية الإسلامية :

أ – لو فرضنا أن هذا « الإنجيل » كان هو إنجيل المسيحيين فى أول الأمر ، أو بالحرى قبل ظهور الإسلام ، لما أشار القرآن إلى وجود اختلاف بينه وبين إنجيلهم ، كما جاء فى العنكبوت ٢٩ : ٤٦ . ولما أشار أيضاً إلى وجود القسوس لدى المسيحيين ، كما جاء فى المائدة ٥ : ٨٠ لأن إنجيل برنابا لم يورد أى كلمة عن هؤلاء . ولو فرضنا أن « إنجيل برنابا » المذكور كان موجوداً مع إنجيل المسيحيين (لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا) لحرّضهم القرآن على التمسُّك به دون الباقين ، بل وشهّر بالباقين ! وبما أنه لم يفعل هذا أو ذاك ، فلابد من التسليم بأن « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا ، لم يكن له وجود لغاية القرن السابع الذى ظهر فيه الإسلام .

ب – لو كان هذا « الإنجيل » موجوداً بين القرنين الثامن والرابع عشر ، التى ظهر فيها قدامى المفسرين المسلمين مثل الطبرى وابن كثير ، لما اختلفوا معه من جهة الشخص الذى قالوا إنه صلب بدل المسيح ، بل لأجمعوا كلهم على أنه يهوذا الإسخريوطى ، كما جاء فى « الإنجيل » المذكور . فلا جدال فى أن هذا « الإنجيل » لم يكن له وجود لغاية القرن الرابع عشر .

ج – سجل كل المؤرخين المسلمين الذين عاشوا لغاية سنة ٧٩٠هـ (آخر القرن ١٤م) أن إنجيل المسيحيين هو المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا – إقرأ مثلاً مروج الذهب لأبى الحسن المسعودى ج١ ص ١٦١ والبداية والنهاية للإمام عماد الدين ج٢ ص ١٠٠ والقول الإبريزى للعلامة احمد المقريزى ص ١٨ والتاريخ الكامل لابن الأثير ج١ ص ١٢٨ – . وهذا يـدل على أن « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا لم يكن له وجود لغاية القرن الرابع عشر كما ذكرنا .

د – وبالإضافة إلى ماتقدم ، فإن بعض هؤلاء المؤرخين سجلوا لنا اسماء تلاميذ المسيح ، كما وردت فى الإنجيل الذى كتبه لوقا تماماً (٦ : ١٢ – ١٦) إنما باختلافٍ بسيط فى هجاء بعضها ، اقتضته ضرورة نقلها من اليونانية إلى العربية ، فقالوا إنهم بطرس ويعقوب ابنا زبدا ويحنس أخو يعقوب ، واندراوس وفيلبس ، وبرثلما ومتى وتوماس ، ويعقوب بن حلفيا وتداوس ، وفتاتيا ويودا أكريابـوط (البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص ٩٢) . وبالتأمل فى هذه الاسماء لانرى واحداً منهم يسمى برنابا أو اسماً مشابهاً له ، كما يدّعى كاتب الإنجيل الذى نحن بصدده فى فصل ١٤ : ١٢ – ١٧ وغـيره . وهذا يبرهن كذبه وادعاءه .

هـ – أخيراً نقول إن الأستاذ عباس محمود العقاد ، الذى درس الكثير من الكتب الإسلامية والمسيحية قال فى كتابه « عبقرية المسيح » ص ١٢٦ « إن الأناجيل (أناجيل المسيحيين) هى

العمدة الوحيدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح . وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفى عام عمدة أحق منها بالاعتماد » . وبناء على قوله هذا يكون « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا ، هو كتاب حديث مزيف كما ذكرنا .

٢ – من الناحية المسيحية :

أ – تدلّ نسخ الكتاب المقدس الأثرية ، والكتب الدينية القديمة ، والجداول التى عملت فى القرون الأولى لحصر أسفار الكتاب المقدس وتسجيل خلاصة محتويات كل منها ، التى ذكرنا جزءاً منها فى الكتاب السابق ، على أن « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا لم يكن موجوداً فى هذه القرون . فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسيحيين كانوا منذ القرون الأولى للمسيحية يتعرضون للتهكم والاضطهاد بسبب اعتقادهم أن المسيح هو ابن الله ، وأنه صلب كفارة عن الخطاة ، وهذان الأمران ينكرهما « الإنجيل » المذكور إنكاراً تاماً ، لايبقى لدينا شك فى أنه لم يكن له وجود فى القرون الأولى .

ب – على الرغم من انقسام المسيحيين إلى طوائف متعددة منذ القرن الرابع إلى الآن ، بسبب اختلافهم فى تفسير بعض الآيات التى وردت فى الكتاب المقدس (كما يحدث فى كل دين من الأديان) لم تظهر بينهم فى أى عصر من العصور طائفة (مهما كان عدد أفرادها) تؤمن بهذا « الإنجيل » . فضلا عن ذلك فإن العقائد المسيحية التى تناولها بالبحث رجال الفلسفة والدين ، وأشار

إليها علماء التاريخ فـــى كل العصـور والبــلاد ، لا أثـر لهـا فـى « الإنجيل » المذكور ، مما يدل على أنه غريب عن المسيحية ، وأنه كُتب فى العصور الحديثة لتشويه الحق المسيحى ، كما ذكرنا فى المقدمة .

٣ – من الناحية الموضوعية :

مما يدل على أن « إنجيل برنابا » إنجيلٍ مزيف أن الآيات الواردة فيه ليست مقتبسة من التوراة العبرية التى كتبت قبل الميلاد بمئات السنين ، أو من الترجمة السبعينية اليونانية التى ظهرت فى القرن الثالث قبل الميلاد ، بل مقتبسة (كما يقول العلماء) من الترجمة اللاتينية التى لم تظهر إلا فى القرن الخامس للميلاد . وهذا يدل على أن الإنجيل المذكور إنجيل مزيف . ومن الأدلة على ذلك :

أ – جاء فى فصل ٨٢ : ١٨ و ٨٣ : ٢٥ أن اليوبيل يقع كل مائة عام . مع أن اليوبيل كان يقع لغاية وجود المسيح على الأرض كل خمسين عاماً فقط (لاويين ٢٥ :١١) . أما جعل اليوبيل كل مائة عام ، فكان بأمر البابا بونيفاس الثامن سنة ١٣٠٠م .

ب – وجاء فى فصل ١٣ :١٩ عن فضل الزهد والتقشف أن المسيح لم تكن معه نقود . وفى ١٧٤ :٢-١١ بحث عما إذا كان سكان الفردوس يأكلون أو لايأكلون . مع أن أهمية الزهد والتقشف لم تظهر فى الشرق إلا فى القرن الرابع ، ولم تظهر فى أوروبا إلا فى العصور الوسطى . وكان ذلك فى إيطاليا وأسبانيا بصفة خاصة (فجر الأندلس ص ٢٨) . وهكذا الحال من جهة البحث الخاص بنوع

طعام سكان الفردوس ، هل هو مادى أو روحى ، فإنه لم يظهر إلا فى هذه العصور ، لأن الجهل كان يخيِّم عليها ، حتى أنها سُمِّيت « العصور المظلمة » .

ج – وجاء فى فصل ٨٨:٢١٧ أن نيقوديموس وضع مئة رطل من العطور على جثة يهوذا ، ظناً منه أنها ليسوع . وجاء فى ١٦:٧٤ أن المسيح قال إن الصيرفى ينظر فى النقود ليرى هل هى من العيار المعهود . مع أن العثمانيين هم أول من استعملوا الرطل ، ثم نشروا استعماله فى البلاد التى فتحوها ، والبلاد التى كانت تربطهم بها علاقات تجارية ، مثل إيطاليا وأسبانيا . كما أنهم هم أول من قال بمعايير الذهب ، فأطلقوا على أجود أنواعه كلمة «البندق» وكل من عاش فى مصر حتى أوائل القرن العشرين يذكر أشياء كثيرة كانت توصف بأنها عثمانية .

د – جاء فى فصل ٣:١٠٥ أن السماء تسْع طبقات ، عاشرها الفردوس (٧:١٠٥) . وجاء فى ٢:٥٩ وَ ١٠:١٣٥ أن الجحيم مكوَّنة من سبع طبقات ، كل طبقة لنوعٍ خاص من الخطاة ، وأن الفخور المتجبِّر فى قلبه يهبط إلى الدائرة السفلى ، ماراً بجميع الدوائر التى فوقها ، فيعانى أقسى الآلام . وجاء فى ٤٤:١٣٥ أن الله حكم على حواس الإنسان بسبب شرها ، ليس بالنار فحسب ، بل وأيضاً بثلج وجليد لايحتملان . مع أننا إذا رجعنا إلى الكتب الدينية والفلسفية القديمة ، لانرى واحداً منها قال بشئ من هذه الأمور . لكننا نراها مجتمعة فى الكوميديا الإلهية التى

كتبها دانتى شاعر إيطاليا فى القرن ١٣م . وانتشرت بعد ذلك فى القرون التالية له . وهذا يدل على أن كاتب الإنجيل الذى نحن بصدده عاش بعد هذا القرن . إذ لايمكن أن يكون الاتفاق الموجود بين آرائه وبين آراء دانتى هو من باب المصادفة ، لأن اتفاقهما ليس فى أمرٍ واحد بل فى أمور متعددة . كما أن هذه الأمور ليست منطقيةً أو علمية مما يتفق عليها بعض الناس ، على الرغم من اختلاف أجناسهم والعصور التى يعيشون فيها ، بل إنها أمـور خـيالية ، إن خطرت ببال الواحد لاتخطر ببال الآخر .

هـ - جاء فى فصل ١٠٦ أن النفس تنقسم إلى حاسية وعقلية . وفى ١٧ :٤-١٨ أن المسيح قال : « الله صلاح ، بدونه لاصلاح .. الله حياة ، بدونه لا أحياء . هوِ عظيم حتى أنه يملأ الجميع وهو فى كل مكان . هو وحده لاندَّ له ، لابداية ولانهاية لـه . لكنه جعل لكل شئ بداية وسيجعل لكل شئ نهاية ، لا أب ولا أم له ، ولا أبناء ولا إخوة ولا عشراء له . ولما كان ليس لله جسم ، فهو لايأكل ولا ينام ولايموت ولايمشى ولايتحرك ، ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشرى . لأنه غير ذى جسد ، وغير مركب ، وغير مادى . وأبسط البسائط .. وبالاختصار أقول لك يافيلبس إنه لايمكنك أن تراه أو تعرفه على الأرض تمام المعرفة ، ولكنك ستراه فى مملكته إلى الأبد ، حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا » . وجاء فى ٤٣ :٦-١٢ : « كل من يعمل ، فإنما يعمل لغاية يجد فيها غَناءً (أى غنى) ، لذلك أقول لكم إن الله لما كان

بالحقيقة كاملاً ، لم يكن له حاجة إلى غناء لأنه الغناء عنده نفسه .. وهل كان هذا هكذا ، إلا لأن الله أراد ذلك ؟ » .

وبالتأمل فى هذه العبارات نرى أنه لايمكن أن تكون قد قيلت إلا بعد حدوث مباحثات ومناقشات من جهة النفس وخواصها ، ومن جهة ذات الله وصفاته وأعماله . وأيضاً من جهة شخصية المسيح ، وهل كان إنساناً عادياً أم كان هو **ابن الله بمعنى المعْلِن لله أو الله مُعْلَناً** . كما نرى أن هذه العبارات مصاغة فى أسلوب لم يكن معروفاً فى البيئة التى عاش المسيح فيها ، لأن هذه البيئة كانت تميل إلى الإيجاز ، كما كانت تميل إلى البساطة فى التفكير والتعبير . لكن بالرجوع إلى التاريخ نرى أن المباحثات الخاصة بشخصية المسيح ظهرت فى أول الأمر فى القرن الخامس للميلاد . وأن المناقشات الخاصة بالنفس ، وبذات الله والغرض من خلقه للعالم ، واستعمال الاصطلاح « أبسط البسائط » عن ذاته تعالى ، ظهرت فى أول الأمر فى القرن الثانى عشر للميلاد ، وذلك على أثر انتشار كتب ابن سينا والفارابى وابن رشد وغيرهم ممن تثقّفوا بالثقافة اليونانية القديمة ، واقتبسوا منها الشئ الكثير فى شرح الموضوعات الدينية لديهم . وهذا يدل على أن كاتب « الإنجيل » الذى نحن بصدده عاش بعد القرن المذكور ، واطّلع على ماكتبه هؤلاء الفلاسفة .

٤ – من الناحيتين العلمية والتاريخية :

أجمع العلماء الذين اكتشفوا « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا ودرسوه دراسة دقيقة ، على أن النسخة الأصلية منه ظهرت فى أول الأمر سنة ١٧٠٩م باللغة الإيطالية عند رجل يدعى كرامر ، كان مستشاراً لملك بروسيا . وبعد أن أهداها هذا الملك إلى الأمير أوجين سافوى ، أودعت بمكتبة فينا سنة ١٨٣٨ ولا تزال محفوظة هناك إلى الآن . كما أجمعوا على أن الرسم الموجود على غلاف هذه النسخة هو من طراز عربى ، وأن بالصفحة الأولى منها عبارات مكتوبة باللغة العربية ، مثل : « الله عظيم » و « إذا أرديتم (أى أردتم) من الله شيئاً ، أرديتم (أى أردتم) خير الأشياء » . كما أنه توجد بهوامش النسخة المذكورة عبارات باللغة العربية ، بعضها سقيم التركيب والبعض الآخر سليمُه . ولما فحص هؤلاء العلماء الورق المستخدم فى هذه النسخة ودرسوا الخط والأسلوب المكتوبة بهما ، اتضح لهم أنها كتبت فى القرن ١٦ لا فى القرن ١٨ الذى اكتشفت فيه . كما اتضح لهم أن **النسخة المذكورة لم تكن مترجمة من اليونانية** التى كتب بها إنجيل المسيحيين فى أول الأمر ، بل أنها مكتوبة أصلاً **باللهجة الإيطالية التى انتشـرت بعد عصـر دانتـى .**

ويقول دكتور « جورج سال » العلأمة الإنجليزى فى ترجمته الإنجليزية للقرآن إنه وجد نسخة من هذا الكتاب أيضاً **باللغة الأسبانية** تكاد تكون معاصرة للنسخة الإيطالية ، كتبها شخص اسمه مصطفى العرندى ، يقول إنه **ترجمها عن النسخة الإيطالية** . وقد جاء فى

مقدمة النسخة الأسبانية أن راهباً يدعى فرامارينو زار مرة سكتوس الخامس بابا روما سنة ١٥٨٥م فعثر لديه مصادفة على كتاب للقديس إيريناوس ، ينقض فيه تعاليم بولس الرسول ، ويشير إلى كتاب يدعى « إنجيل برنابا » المذكور . وصلى الراهب طالباً أن ينام البابا ، فنام . وانتهز الراهب الفرصة وأخذ يبحث فى مكتبة البابا ، فعثر على هذا « الإنجيل » وفى الحال خبأه فى ردائه وانتظر حتى استيقظ البابا ، فاستأذن منه وانصرف . ولما درس الإنجيل المذكور اعتنق الإسلام . وفى ضوء ماتقدم نقول :

أ - إن الإنجيل الذى يؤمن به المسيحيون جميعاً كُتب فى أول الأمر بواسطة بعض أتباع المسيح باللغة اليونانية التى يتكلم بها معظم سكان فلسطين وقتئذ . فلا يمكن أن يكون كاتب « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا واحداً من هؤلاء الأشخاص . لأنه لو كان الأمر كذلك لكتب أولاً باليونانية ، وترجم منها إلى لغات أخرى ، وانتشر تبعاً لذلك منذ القرون الأولى فى البلاد التى تتحدث بهذه اللغات ، ولكان يوجد منه الآن نسخ أثرية باللغة اليونانية ، واقتباسات أيضاً منه فى الكتب الدينية القديمة (كما هو حال الإنجيل المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، كما ذكرنا فيما سلف) إذ لا يعقل إطلاقاً أن يكون هذا الإنجيل وحده قد اختفى عن أنظار العالم فى القرن الأول ، ولم يظهر إلا فى القرن ١٦ بلغتين غريبتين عن اللغة التى كانت منتشرة فى فلسطين فى القرن الأول للميلاد .

ب – إن قصة العثور على هذا الكتاب لايمكن أن تكون حقيقية ، للأسباب الآتية :

(١) إن مؤلفات إيريناوس لاتزال موجودة لغاية الآن ، وكلها تتوافق مع الإنجيل الذى بين أيدينا ، ومع رسائل بولس الرسول أيضاً ، كما ذكرنا فى الكتاب السابق .

(٢) إن برنابا الحقيقى (كما يتضح من الكتاب المقدس) كان قد باع ممتلكاته ووزع ثمنها على الفقراء إكراماً للمسيح الذى بذل نفسه كفارة على الصليب من أجله ومن أجل غيره من الناس (أعمال ٤:٣٦ ، ٣٧) . ثم أتى بعد ذلك ببولس الرسول إلى تلاميذ المسيح وعرّفهم به (أعمال ٩ : ٢٧) . كما سافر معه للمناداة بالإنجيل فى دربة ولسترة وإيقونية وأنطاكية (أعمال ١٤:٢٠ ، ٢١) وأورشليم (غلاطية ٢:١) وتحمل معه آلاماً واضطهادات كثيرة بسبب هذه الخدمة (١كورنثوس ٩:٦) . وبعد ذلك نادى بالإنجيل مع مرقس البشير فى قبرص وغيرها من البلاد (أعمال ١٥:٣٩) . ومما يدل أيضاً على أن برنابا ظل متمسكاً إلى نهاية حياته بالحقائق المسيحية ، وفى مقدمتها موت المسيح كفارة على الصليب ، أن له رسالة يرجع تاريخها إلى حوال سنة ١٠٠م جاء فيها « إننا نحفظ اليوم الثامن (أو بالحرى يوم الأحد ، لأن السبت كان يدعى اليوم السابع) بفرح وابتهاج ، لأنه اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات » . كما أن بعض رجال الدين فى شمال إيطاليا عملوا **قداساً فى القرن الخامس** ، وأطلقوا عليه « **قداس برنابا** » **لأن برنابا هو**

الذى نادى بالإنجيل فى بلادهم فى أول الأمر . والقداس المذكور على نمطٍ خاص يعرف عند المؤرخين بالطقس الميلانى .

(٣) إن رؤية المدعو فرامارينو مصادفة للكتاب المنسوب إلى إيريناوس ، ووقوع سبات عميق على البابا بناءً على صلاة فرامارينو ، وعثوره بعد ذلك بالمصادفة أيضاً على « الإنجيل » المنسـوب إلى برنابا ، وسرقته إياه وهروبه دون أن يراه أحد — كل هذه تصرفات أقرب إلى الروايات المصطنعة منها إلى الحقائق الواقعة . فليس من المعقول أن يكون البابا قد غَطَّ فى النوم أثناء زيارة الراهب له . وليس من المعقول أن يسرق الراهب الكتاب ، فقد كـان يمكنه أن يسـتعيره ، أو أن يقرأه على دفعات فى مكتبة البابا ، ولو فرضنا أن هذا الراهب كان لصاً ، فكيف استجاب الله صلاته وأوقع على البابا سباتاً عميقاً ليتمكن للراهب المذكور من القيام بالسرقة المزعومة !

وإذا كان الأمر كذلك ، فلايمكن أن يكون أحد رسل المسيح الأولين قد كتب هذا « الإنجيل » . بل من المؤكد أن أحد المدّعين كتبه فى القرن السادس عشر ، كما اتضح لنا مما سلف ، وكما يتضح بأكثر تفصيل فى الفصول التالية .

الفصل الثانى

جنسية كاتب « إنجيل برنابا »

تدل محتويات « إنجيل برنابا » على أن أحد المدّعين كتبه فى القرن السادس عشر ، كما تدل أيضاً على أن كاتبه كان من أهالى غرب أوروبا ، وبالتحديد من أهالى أسبانيا ، وليس من أهالى فلسطين ، وذلك لسببين :

(١) جهله بتاريخ وجغرافية فلسطين ، وتأثّره بتاريخ وجغرافية غرب أوروبا وبصفة خاصة أسبانيا .

(٢) جهله بالحالة الاجتماعية فى فلسطين ، وتأثّره بالحالة الاجتماعية فى غرب أوروبا لاسيما أسبانيا ، كما يتضح مما يلي :

١ - جهله بتاريخ وجغرافية فلسطين ، وتأثُّره بتاريخ وجغرافية غرب أوروبا،لاسيما أسبانيا :

أ - جاء فى فصل ٢٠:١ ، ٩٢:٣ أن الناصرة (التى وُلد فيها المسيح) وأورشليم (عاصمة اليهود قديماً) هما ميناءان على البحر . وجاء فى ١٣٩:١٣ ، ١٤٣:١ أن المسيح هرب إلى دمشق ، واتّخذها مركزاً للاجتماع بتلاميذه . مع أن الناصرة مدينة فى السهل ، وأورشليم مدينة على الجبل ، ودمشق عاصمة سوريا ، ولاتقع فى بلاد فلسطين التى عاش المسيح فيها .

ب – وجاء فى فصل ٩٢ :١ أن يسوع ذهب مع تلاميذه إلى جبل سيناء وقضى معهم هناك ٤٠ يوماً فى الصوم ، مع أن جبل سيناء يبعد كثيراً عن بلاد فلسطين التى عاش فيها المسيح ، فلا يمكن أن يكون المسيح قد ذهب مع تلاميذه إليه . أما الجبل الذى كان يذهب إليه معهم ، فهو جبل الزيتون قرب أورشليم .

ج – وجاء فى فصل ١٦٩ :١٣ أن الحقول والأودية فى فلسطين تكون جميلة فى فصل الصيف ، مع أن فلسطين قاحلة تقريباً فى الصيف . لأنها تعتمد على الأمطار التى لاتسقط إلا فى الشتاء . أما فى غرب أوروبا فالأودية والحقول تكون جميلة فى فصل الصيف ، لأن الأنهار هناك طويلة ودائمة الجريان .

د – وجاء فى فصل ١٠٩ :٩ أنه توجد فى فلسطين مقاطع للأحجار والرخام ، مع أن هذه المقاطع لاتوجد هناك ، بل توجد بكثرة فى إيطاليا وأسبانيا . وقد أشار إلى وجودها فى أسبانيا كتاب « ظهر الإسلام » ج٣ ص ١٦ .

هـ – وجاء فى فصل ٣ :٢ أنه عندما وُلد يسوع كان بيلاطس واليا على اليهود ، وكان حنان وقيافا رئيسى كهنة . وجاء فى ١٣١ :٦ ، ٢١٧ :٦١ أن هيرودس ملك الجليل كان يعبد الأوثان ، مع أن بيلاطس كان والياً على اليهود فى المدة من سنة ٢٦–٣٦م ، وحنّان كان رئيساً للكهنة فى المدة من سنة ٦–١٥م ، وقيافا فى المدة من سنة ١٨–٣٦م بعد ولادة المسيح بعدة سنوات . وهيرودس كان أدومياً لكنه تهوّد وبنى هيكل أورشليم ولذلك كان يحضر إليها فى الأعياد (لوقا ٢٣ :٧) .

و – وجاء فى فصل ٦٣ :٤-٧ « أن الله عزم على إهلاك نينوى ، لأنه لم يجد أحداً يخاف الله فى تلك المدينة التى بلغ من شرها أن دعا الله يونان النبى ليرسله إلى تلك المدينة ، فحاول الهرب إلى طرسوس خوفاً من الشعب ، فطرحه الله فى البحر ، فابتلعته سمكة وقذفته على مقربة من نينوى » . مع أن المعروف أن مدينة نينوى كانت عاصمة الإمبراطورية الأشورية . وقد شيدت على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، على فم رافد صغير اسـمه رافد الخسر . فهى إذن لم تكن على البحر الأبيض المتوسط كما قال الكاتب .

٢ – جهله بالحالة الاجتماعية فى فلسطين ، وتأثره بالحالة الاجتماعية فى غرب أوروبا لاسيما أسبانيا :

أ – جاء فى فصل ١٥٢ :٢٥ أن اليهود فى فلسطين كانوا يضعون الخمر فى براميل يمكن دحرجتها ، مع أنهم كانوا يضعونها فى زقاق من الجلد (يشوع ٩ :١٣) . أما البلاد المشهورة بصناعة الخمور وتقوم بحفظها فى براميل فهى بلاد غرب أوروبا ، وخاصة إيطاليا وفرنسا وأسبانيا .

ب – وجاء فى فصل ١٤٠ :٩ أن العساكر كانوا يتدربون على الفنون الحربية فى زمن السلم ، مع أن هذا التدريب لم يكن مألوفاً فى فلسطين أثناء وجود المسيح على الأرض، بل كان مألوفاً فقط فى بلاد غرب أوروبا ابتداءً من حوالى القرن العاشر ، وفى غيرها من البلاد ، فى الوقت الحاضر .

ج - وجاء فى فصل ٩١:١٠ أنه كان فى فلسطين ثلاثة جيوش بكل منها ٢٠٠,٠٠٠ جندى مسلّحون بالسيوف . وفى ٩١:١١ أن هيرودس الملك لم يكن له احترام عسكرى فى فلسطين . وفى فصل ١٥٢ أن السلطتين الدينية والمدنية كانتا تسمحان للرومان بالدخول إلى الهيكل اليهودى لمجادلة يسوع فى الأمور الدينية ، مع أن الرومان كانوا يحتلون فلسطين وقتئذ ، ولم يسمحوا بتكوين جيوش مثل هذه فيها . وأن هيرودس بوصفه نائباً عن قيصر كانت له السلطة الكافية فى هذه البلاد . وأن الرومان ، مثل غيرهم من الشعوب الوثنية ، لم يكن يسمح لهم بالدخول إلا إلى دار الأمم ، وهى بعيدة عن الهيكل ويفصلها عنه ثلاثة حواجز هى : دار إسرائيل ، ودار النساء ، ومساكن الكهنة .

د - وجاء فى فصل ٢:١ أن العذراء مريم لما وجدت أنها حبلى خافت أن يرجمها الشعب بتهمة الزنى ، فاتّخذت لها عشيراً يدعى يوسف . مع أن اتخاذ الفتاة عشيراً لها لم يكن معروفاً فى بلاد فلسطين ، بل فى أوروبا . أما العذراء مريم فكانت مخطوبة ليوسف قبل أن يبشرها الملاك بالحبل بالمسيح (لوقا ١:٢٦ ، ٢٧) .

هـ - وجاء فى فصل ١٩٤:٣ ما يدل على أن مريم ومرثا ولعازر الوارد ذكرهم فى يوحنا ١١ و ١٢ كانوا من الموالى الذين يتصرّفون فى أرضهم وفى الفلاحين الذين لديهم تصرُّف المالك الذى لاحدود لسلطته ، مع أن هذا التصرف لم يكن له وجود إلا فى نظام الإقطاع الذى نشأ فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى .

وقد أشار الدكتور حسين مؤنس إلى وجود الإقطاعيين وقتئذ ، وإلى استخدامهم للرقيق فى بلاد الأندلس (أى أسبانيا) فى كتابه (فجر الأندلس ص ٢٧ و ٤٧٢) .

و - وجاء فى فصل ١٤١ :١٧-٢٠ وصف للمبارزات التى تقوم بين العشّاق . وفى ٢١٧ :٦٣ أن يهوذا الإسخريوطى عندما صرخ أنه ليس يسوع ، رماه اليهود بالحمق ، ووضعوا عليه رداءً أبيض . مع أن هذه المبارزات لم يكن لها وجود إلا فى غرب أوروبا قبيل الثورة الفرنسية ، وكانت تسمى وقتئذ « الفروسية » . وأن الرداء الأبيض كان علامة الحداد على الموتى فى أسبانيا (أو الاندلس) لغاية القرن الخامس عشر ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة كتاب (ظهر الإسلام ج٣ ص ٨) .

ز - وجاء فى فصل ١٥٣ :٨ ، ١٥٤ :١ أن السارق يُعدم شنقاً والقاتل يقطع رأسه ، مع أن هاتين العقوبتين كانتا تُطبّقان فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى وليس فى بلاد اليهودية ، لأن السارق فى هذه البلاد كان يعاقب بردّ خمسة أو أربعة أمثال ماسرق إذا كان قد باعه ، وضعف ماسرقه إن لم يكن قد باعه (خروج ٢٢ :١-١٥) وذلك بالإضافة إلى الذبيحة الكفارية التى كان يجب أن يقدمها عن خطيته . وأن من يقتل سهواً ، كان يصان من القتل بالالتجاء إلى أحد مدن الملجأ . أما من يقتل عمداً فكان يُقتل بأى وسيلة ، وليس بقطع رأسه فقط (عدد ٣٥ :٩-٢٨) .

ح – وجاء في فصل ٦٩: ٤-٩ أن الكهنة كانوا يشغفون بركوب الخيل ، دون أن تكون لهم الرغبة في الذهاب إلى الحروب . كما أنهم كانوا يحبون المجد كالجمهوريين ، دون أن تكون لهم الرغبة في القيام بأعباء الجمهورية . مع أن ركوب الخيل لم يكن شائعاً في فلسطين أيام المسيح ، كما أنه ليس من تعاليم المسيح أن يدعو إلى الحروب . كما أن الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين بيدٍ من حديد ، لم يكونوا يسمحون لأحدٍ من أهلها أن يفكر في الحكم الجمهوري . ولكن هذه الأمور الثلاثة (الخاصة بركوب الخيل ، والحروب ، والحكم الجمهوري) كانت من الأمور الشائعة بين سكان غرب أوروبا في أواخر العصور الوسطى .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن كاتب الإنجيل المسمى « إنجيل برنابا » لم يكن واحداً من تلاميذ المسيح ، ولا من سكان فلسطين . إنما كان من سكان غرب أوروبا في أواخر العصور الوسطى . فلا يجوز الأخذ بما كتبه عن المسيح ، لاسيما وقد ظهر جهله بالكثير عن فلسطين التي عاش المسيح وتلاميذه فيها .

الفصل الثالث

ديانة كاتب « إنجيل برنابا »

١ – الأدلة على أنه كان يهودياً :

آراء الكاتب الدينية ، وإلمامه بموضوعات لايعرفها إلا اليهود ، يدلان على أنه كان يهودياً :

(أ) أشار فى فصل ٢٥:٥٠ إلى قصة سوسنة والشيخين ، وقال فى ٩:٢٢ إن الملاك روفائيل يقبض الأرواح ، مع أن قصة سوسنة والشيخين لاترد إلا فى الكتاب الذى يسمى « ملحق سفر دانيال » . وإسناد قبض الأرواح إلى من يُدعى الملاك روفائيل لايرد إلا فى الكتاب المسمى كتاب « أخنوخ » وهذان الكتابان لايوجدان إلا فى مجموعة « الأبوكريفا » التى لم يكن يعرفها أحد سوى اليهود ، وهى مجموعة قصص وأحداث وأمثال وأحلام يهودية محضة كتبت فى القرن الثانى قبل الميلاد ، بعد انقطاع الوحى عن اليهود بمائتى عام . و « الأبوكريفا » كلمة يونانية معناها « المحفوظ سراً » أو « الأسفار المشكوك فى صحة نسبتها إلى كاتبها » ويعرفها البعض بالأسفار الثانوية ، وبعضهم بالأسفار غير القانونية . وهى كتابات ظهرت بعد النبى ملاخى ، فى فترة انقطاع الوحى الإلهى (فترة ما بين التوراة والإنجيل) .

وكانت مكتوبةً باليونانية ، لا العبرية لغة التوراة . وقد أدرج اليهود هذه الأسفار ضمن كتبهم المقدسة حسب قرار مؤتمر جامينا سنة ٩٠م ، واعتبرت أسفاراً للقراءة ، ودون قيمة الأسفار القانونية التسعة والثلاثين . وبها أخطاء تاريخية ولاهوتية .

(ب) وجاء فى فصل ٩٩:٣ أن الله يحب إسرائيل كعاشق . وصدور عبارة مثل هذه من كاتب « إنجيل برنابا » يدل على أنه يهودى ولاشك ، لأن الله يحب كل الناس . وإن كان يحب بعضهم بصفة خاصة ، يكون ذلك راجعاً إلى تقواهم وطاعتهم له .

(ج) وجاء فى فصل ٢١:٣٠ أن أقرباء الكنعانية التى شفى يسوع ابنتها اعتنقوا شريعة موسى . وفى ٣١:٢٣ أن رئيس المجمع الذى شفى يسوع غلامه حطم كل الأصنام وعبد إله إسرائيل . وجاء فى ٢٢:٢ أن الكلب أفضل من رجل غير مختون . وفى ٢٣:١٥ ، ١٧ أن غير المختون محروم من الفردوس . وتدل هذه الأقوال على أن كاتبها يهودى لأن اليهود هم الذين يعتزّون بموسى كل الاعتزاز ، ويدعون الله « إله إسرائيل » كما يعتقدون أن غير المختون مرفوض من الله ، ويجب أن يطرد من بينهم (تكوين ١٧:١٤) .

(د) وجاء فى فصل ٢٢:٩ أن كفر الإنسان سببه عدم وفائه بعهد الله مع إبراهيم . فكاتب إنجيل برنابا يرى فى الانتساب الجسدى إلى إبراهيم السبيل الوحيد للتمتع برضى الله مع أن المسيح

أعلن أن الله يستطيع أن يقيم من الحجارة (أى من عبَدة الأوثان) بواسطة الإيمان الحقيقى أبناء روحيين لابراهيم . كما أعلن أن كثيرين من نسل إبراهيم بالجسد نصيبهم الهلاك الأبدى لأنهم لم يؤمنوا إيمان إبراهيم (متى ٣: ٩ ولوقا ٣: ٨) .

(هـ) الخرافات الواردة فى « إنجيل برنابا » وادّعاء صاحبه أن الله مسخ بعض المصريين فجعلهم حيوانات (فصل ٢٧: ٥) تدل أيضاً على أن الكاتب يهودى :

(١) لأن اليهود مشهورون بالخرافات .

(٢) لأن كراهيتهم الشديدة للمصريين منذ القديم تجعلهم يتمنّون لهم الإصابة بالبلايا .

(٣) لأن المسخ لاأساس له فى المسيحية ، بل هو من العقائد التى كان اليهود والوثنيون يتمسكون بها فى الأزمنة الغابرة .

٢ - جهله ببعض الحقائق الإسلامية ، لتأثره باليهودية أو بآرائه الشخصية :

(أ) جاء فى فصل ٦٣: ١٨ أن أخا هابيل يُدعى « **قايين** » **كما جاء فى التوراة** (تكوين ٤: ١) مع أن اسمه كما يقول المفسرون المسلمون هو « قابيل » .

(ب) وجاء فى فصل ١٠٥: ٣-٨ و ١٧٨: ٥ ، ٦ **أن السموات تسع ، مع أن السموات فى الإسلام سبع فقط** (الإسراء ١٧: ٤٤) .

(ج) وجاء فى فصل ٣:١٠ **أن العذراء مريم ولدت المسيح بدون ألم مع أن الإسلام يعلن أنه لما جاءها المخاض قالت : « ياليتنى متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً »** (مريم ١٩:٢٣) .

(د) وجاء فى فصل ٤٢:٥ و ٧٢:١٠ ، ١٤ و ٨٢:٩-١٨ أن يسوع قال لكهنة اليهود وللسامرية عن نفسه إنه **ليس المسيا ، بل المسيا هو محمد الذى سيأتى بعده** ، مع أن المسلمين لايعتقدون أن نبيّهم هو المسيا ، **بل يعتقدون أن المسيا هو المسيح** (آل عمران ٣:٤٥) لأن كلمتى « المسيح » و « المسيا » مترادفتان وبمعنى واحد ، هو « الممسوح » أو المعيّن من الله نبياً رسمياً لتنفيذ مقاصده ، وفى مقدمتها التكفير عن خطايا الناس (إشعياء ٦١:١) . وإن كان اليهود قد تجاهلوا المسيح ، لكنهم يتوقون من كل قلوبهم إلى ظهوره ليرفع من شأنهم ، كما يعتقدون .

(هـ) وجاء فى فصل ١١٥:١٨ « **فليقنع الرجل إذاً بالمرأة التى أعطاه إياها خالقه** ، ولينْسَ كل امرأة أخرى » . مع أن **تعدد الزوجات جائز فى الإسلام** (النساء ٤:٣) .

(و) وجاء فى فصل ١٠٢:١٧-١٩ أن الجنس البشرى تعِس ، فالله قد **اختاره ابناً** ووهبه الجنة ولكنه سقط بعمل الشيطان وطُرد من الجنة . مع أن القرآن يحسب **الاعتقاد بأبوّة الله كفراً** يستوجب نار جهنم ، إذ يقول وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً (**الكهف ١٨:٣**) .

(ز) وجاء فى فصل ١٥٥ :١٢ ، ١٣ « لذلك لما **خلق الانسان حراً** ليعلم أن ليس لله حاجة إليه كما يفعل الملك الذى يعطى حرية لعبيده ليظهر ثروته وليكون عبيده أشد حباً له » . مع أن هذا يخالف ما جاء فى القرآن أن **كل إنســان الزمناه طائره فى عنقه** (الإسراء ١٧ :١٣) .

(ح) وجاء فى فصل ١٣٧ :١-٤ أن **رسول الله يطلب رحمةً لمن لبث فى الجحيم ٧٠ ألف سنة** ، ليعتقهم من العقوبات المرّة ، فيستجيب الله ويأمر ملائكته الأربعة المقرّبين ليخرجوا كل من على دين رسوله ويقودوه إلى الجنة . مع أن **الله لعن الكافرين** وأعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً ولايجدون ولياً ولا نصيراً (الأحزاب ٣٣ :٦٤ ، ٦٥) .

٣ - الأدلة على اعتناقه الإسلام :

أ - تجريده للمسيح من كل خواصه الإلهية ، وتخطئته لكل ماورد فى الإنجيل بشأنها :

(١) جاء فى فصل ١٩ :١٤-١٨ أن بعض المرضى بالبرص قالوا ليسوع : « أعطنا صحة » فقال لهم : « أيها الأغبياء ، أَفَقَدْتُم عقلكم حتى تقولوا : أعطنا صحة ! ألا ترون أنى إنسان نظيركم ؟ أُدعوا إلهنا الذى خلقكم ، وهو القدير الرحيم يشفيكم » . فقالــوا لــه : « إننا نعلم أنك إنسان نظيرنا ، لكنك قدوس الله ونبى الرب ، فصلِّ لله ليشفينا » . فسمع لهم وتضرع إلى الله فشفاهم ، مع أن الإنجيل يعلن أنه عندما أتى هؤلاء المرضى إلى المسيح طالبين منه

الرحمة ، قال لهم : « اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة » ليشهد الكهنة لشفائهم ويسمحوا لهم بالعودة إلى بيوتهم . وفيما هم منطلقون طهروا ، ورجع واحد منهم يمجد الله بصوت عظيم ، وسجد عند قدمي المسيح مقدماً له الشكر . فقال له المسيح : « قم وامض . إيمانك خلصك » (لوقا ١٧ :١١-١٩) .

كما أن الإنجيل يعلن لنا أن المسيح لم يكن فى حاجة إلى أن يوجّه أحد نظره ، حتى بوصفه ابن الإنسان ، إلى أنه قدوس الله ، الذى يستمع الله له ، فقد كان يعلم أنه خرج من عند الآب (يوحنا ١٦ :٢٨) وأن كل مايطلبه من الآب يعطيه إياه (يوحنا ١١ :٤٢) وأنه إذا أراد أمراً ، حدث للتوّ مهما كانت الظروف والأحوال (متى ٨ : ٣) .

(٢) وجاء فى فصل ٤٧ :٨-١٣ أنه لما طلب البعض من يسوع أن يحيى ميتاً ، خاف كثيراً . ثم اتجه إلى الله وقال له : « خذنى من العالم يارب لأن العالم مجنون ، وكادوا يدعوننى إلهاً . ولما قال ذلك بكى . حينئذ جاء الملاك جبريل وقال له : « لاتخف يايسوع » . وجاء فى ٩٥ :٢٠ أن المسيح قال إنه لا طاقة له أن يخلق ذبابة ، مع أن الإنجيل يعلن لنا أن المسيح قال بسلطان إلهى للميت الذى كان محمولاً على النعش : « أيها الشاب : لك أقول قم » فقام فى الحال (لوقا ٧ :١٤) . وأقام لعازر ، فقد قال له بعد موته ودفنه بأربعة أيام : « لعازر ، هلم خارجاً » فخرج من القبر فى الحال أيضاً (يوحنا ١١) فآمن كثير من اليهود بأن المسيح هو حقاً

« ابن الله » . كما أن الوحى الإلهى يسجل أن المسيح خلق عينين لأكمه ولد أعمى (يوحنا ٩) .

فضلاً عن ذلك فإن المسيح لم يكن فى حاجة إلى ملاك أو غير ملاك ليبعث إلى نفسه السلام والطمأنينة لأنه « رئيس السلام » (إشعياء ٩:٦) الذى يبعث السلام والطمأنينية إلى المؤمنين به ، فقد قال لهم أكثر من مرة : « أنا هو لاتخافوا » (متى ١٤:٢٧ ومرقس ٦:٥٠ ويوحنا ٦:٢٠) . وقال أيضاً لهم : « سلاماً أترك لكم . سلامى أعطيكم . ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا . لاتضطرب قلوبكم ولاترهب » (يوحنا ١٤:٢٧) . كما أنه لم يرهب مرة قول الناس له إنه « ابن الله » ، أو بالحرى « الله معلَناً » بل كان يقبله منهم كأمرٍ عادى ، لأنه حقاً كذلك (متى ١٦:١٧ ويوحنا ٦:٦٩ و ١١:٢٧ و ٢٠:٢٨) .

(٣) وجاء فى فصل ١٣:١٥–٢٠ أن جبريل الملاك نصح يسوع أن يقدم كبشاً كفارة عن نفسه ، كما فعل إبراهيم من قبل ، فقال له يسوع : « سمعاً وطاعة » . مع أن الإنجيل يقول إن المسيح لكماله المطلق ومعرفته بكل صغيرة وكبيرة ، لم يطلب نصيحة أحد (يوحنا ٧:٣–٦) بل كان ينصح الناس ويرشدهم إلى الصواب (مزمور ٣٢:٨ وإشعياء ٩:٦ ورؤيا ٣:١٨) . كما أنه لم يكن ينقاد وراء رأى إنسان ما (متى ١٦:٢٣) بل كان هو الذى يأمر فيطاع . وقال إنه قبل مجيئه ثانية إلى الأرض (متى ٢٤) سيرسل الملائكة ليجمعوا مختاريه من أنحاء الأرض (متى ٢٤:٣١) فيقومون

للتوّ بجمعهم . كما قال لجميع المؤمنين به : « احملوا نيرى عليكم (أى اخضعوا لى) وتعلّموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم » (متى ١١ :٢٩) .

ثم إن الإنجيل يعلن لنا أن المسيح لم يكن فى حاجة إلى تقديم فدية عن نفسه ، لأن من يفعل ذلك هو الخاطئ ، أما المسيح فلم يفعل خطية على الإطلاق ، وفى الوقت نفسه كان كاملاً كل الكمال ، ولهذا فهو الشخص الوحيد الذى استطاع أن يقدم نفسه كفارة عن البشر جميعاً (١يوحنا ٢ :٢) لأن الخاطئ لايعجز فقط عن التكفير عن غيره ، بل يكون هو نفسه فى حاجة إلى من يكفر عنه .

(٤) وجاء فى فصل ٤٢ :٢٨ أن صوتاً أتي من السماء قائلاً للتلاميذ عن يسوع : « انظروا خادمى الذى به سررت » . وجاء فى ٢١٢ :٦ أن المسيح قال إنه لم يحسب نفسه قط خادماً صالحاً لله ، مع أن الإنجيل يعلن لنا أن الله قال للتلاميذ عن يسوع : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا » (متى ١٧ :٥) . وأن المسيح أعلن عن نفسه أنه « الراعى الصالح » (يوحنا ١٠ :١١) وأنه بوصفه ابن الإنسان قام بكل الأعمال التى أسندها الآب إليه (يوحنا ١٧ :٤) .

(٥) وجاء فى فصل ٧٠ :٥ ، ٦ أنه عندما قال بطرس ليسوع : « إنك المسيح ابن الله » غضب يسوع وقال له : « انصرف عنى » . مع أن الإنجيل يعلن لنا أن المسيح قال له وقتئذ

: « إن لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فـى السـموات » (متى ١٦:١٧) أى أن بطرس لم يكن يستطيع من تلقاء ذاته أن يعرف حقيقة بنوّة المسيح الفريدة لله لولا أن الله أعلنها له .

(٦) وجاء فى فصل ٥٢:١٠-١٢ أن يسوع قال : « إنى أقشعر لأن العالم سيدعونى إلهاً . وعلىّ أن أقدم لأجل هذا حساباً .. إنى رجل فانٍ كسائر الناس » . ثم بكى يسوع وبكى تلاميذه ، وصلوا إلى الله لكى يرحمه . فقال « آمين » . وفى ١١٢:٨ أنه قال : « إننى لا أقدر أن أبكى بقدر مايجب علىَّ ، لأنه لو لم يدعنى الناس إلهاً لكنت عاينت هنا الله كما يُعايَن فى الجنة ، ولكنت أمنت خشية يوم الدين » . مع أن الإنجيل يعلن:

(أ) أن المسيح لكماله المطلق ليس فقط لن يُحاسَب علـى شئ ، بل إنه هو الذى سيحاسب الناس جميعاً يوم الدينونة على خطاياهم (متى ٢٥:٣١) .

(ب) أنه بوصفه ابن الإنسان ، كان يصلى لأجل الناس ، دون أن يطلب من أحدهم أن يصلى لأجله .

(ج) أن نفسه البشرية لم تذهب إلى مكانٍ مجهول بعد موته ، بل ذهبت إلى الفردوس مباشرة (لوقا ٢٣:٤٣) .

(د) يعلن الإنجيل أن المسيح كان يطلب من الناس أن يؤمنوا أنه ابن الله (يوحنا ١٤:١) على النقيض مما يقول « إنجيل برنابا » لعدم معرفته بمعنى بنوة المسيح لله .

ب – تفضيله نبى الإسلام على المسيح كثيراً :

(١) جاء فى فصل ٣٩ :٢٠ و ١٧:٨٢ ، ١٨ و ٢١٢ :١٧ أن الله خلق العالم لأجل نبى الإسلام . وفى ٣٥ :٨ و ٣٩ :٢٢ ، ٩٦ :٥ ، ٤٣ :٩ أن الله خلق نبى الإسلام قبل يسوع . وأنه لما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس « لا إله إلا الله ومحمد رسول الله » (٤٩ :١٤) . ولما سأل آدم الله عنه ، قال له : « إن نفسه (محمد) موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلقٍ شيئاً » (٣٩ :١٤) . وفى فصل ٣٩ :١٤ و ٤١ :٣٠ أنه لم طرد آدم من الجنة ، رأى مكتوباً فوق الباب « لا إله إلا الله . ومحمد رسول الله » فبكى آدم وقال : « عسى الله أن يريد أن تأتى سريعاً وتخلصنا من هذا الشقاء » . ثم كتب الله على ظفر إبهام يد آدم اليمنى « لاإله إلا الله » ، وعلى ظفر إبهام يده اليسرى « محمد رسول الله » (٣٩ :٢٥ و ٢٦) . وفى فصل ٤٤ :٣٠ و ٣١ « ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً : يا محمد ليكن الله معك وليجعلنى أهلاً أن أحل سير حذائك لأنى إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله » .

وللرد على ذلك نقول :

تتوافق الأوصاف التى ذكرها إنجيل برنابا عن نبى الإسلام فى معناها مع ماجاء فى الكتب الإسلامية ، مثل الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، والدين والشهادة . أما الخلاص من الشقاء الأبدى فمنوط بالمسيح دون سواه ، وذلك بناءً على موته الكفارى

على الصليب نيابة عن البشر (يوحنا ١٢ :٤٧ ومتى ١٨ :١١) . كما أن اسمه الأول ، وهو « يسوع » يدل على هذه الحقيقة (متى ١ :٢١) لأنه مكوّن من كلمتين عبريتين هما « يا » و « سوع » ومعناهما معاً « الله يخلص » لأن كلمة « يا » هى اختصار كلمة « يهوه » أى « الكائن بذاته » أو بالحرى « الله » نفسه .

أما كلمة « عيسى » المستعملة فى الإسلام ، فالأرجح أنها معربة عن الكلمة اليونانية « ايسا » ، (والتى تنطق فى حالـة الرفع « أيسوس » ومعناها « المخلِّص ») . وجدير بالذكر أن ملاَّحى صعيد مصر الذين لايزالون يستعملون الاصطلاحات اليونانية التى توارثوها عن اجدادهم القدماء دون أن يدركوا يصرخون لغاية الآن عند التعرّض لأى خطر فى النهر بالقول : « إيلا أيسا » ، أى « هيا خلصنا » .

هذا مع العلم بأن المدعو برنابا قال فى فصل ٤ :٦ إن الملاك قال للرعاة عندما أنبأهم بمولد المسيح ، إنه ولد فى مدينة داود نبى سيحرز لبيت إسرائيل خلاصاً عظيماً .وبهذا يناقض « برنابا » نفسه ، شأن كل من يقوم بالتزييف والتزوير .

(٢) ولما كان كاتب « إنجيل برنابا » يهودياً اعتنق الإسلام ، فقد فاق جميع الناس فى تعظيم نبى الإسلام ، شأن صغار النفوس الذين يتظاهرون بغير الحقيقة ، لتكون لهم مكانة ما . فقال فى فصل ٤٣ :٢٥-٣١ عنه إنه هو « رب داود » الوارد ذكره فى مزمور ١١٠ :١ ، ٢ .

وللرد على ذلك نقول :

إن « رب داود » الوارد ذكره فى هذا المزمور هو المسيح . وقد أشار له المجد إلى هذه الحقيقة عندما أراد أن يمتحن معلومات معلّمى اليهود . فلما قالوا له إن المسيح هو ابن داود ، سألهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً ، قائلاً : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . فإن كان داود يدعوه رباً ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد منهم أن يجيبه بكلمة (متى ٢٢:٤٤-٤٦ ولوقا ٢٠:٤٢-٤٤) . ولكن الإجابة واضحة جلية ، فالمسيح من حيث لاهوته هو رب داود ، ومن حيث ناسوته هو ابنه ، لأنه ولد حسب الجسد من ذريته (رومية ١:٣ ، ٤) .

ج - إلمامه بالكثير من العقائد والاصطلاحات الإسلامية :

(١) جاء فى فصل ٣٥:٩ أن الشيطان غضب عندما علم أن الله سيخلق آدم . فقال لملائكته : « انظروا . سيريد الله يوماً ما أن نسجد لهذا التراب » . والقول بامتناع الشيطان عن السجود لآدم ورد فى (الحجر (١٥):٣٠) وفى غيرها من السور . وجاء فى فصلى ٢٨ و ٢٩ أن إبراهيم كسر أصنام أبيه ، وعلق الفأس على أكبرها قائلاً إنه هو الذى كسرها ، وأنه عرف الله من مشاهدة النجوم . وهذا ماجاء فى (الانعام (٦):٧٦) و (الأنبياء (٢١):٦٣) . وجاء فى فصل ٧:١٠ أن يسوع تكلم وهو طفل ، كما جاء فى (آل عمران (٣):٤٨) .

وهذه الأحداث لا أساس لها فى الكتاب المقدس على الإطلاق .

(٢) وجاء فى فصل ٩:٣٨ أنه لايقدم أحدٌ صلاةً مقبولة إن لم يغتسل ، كما هو معروف فى الإسلام فقدجاء فى (تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٩) أن الوضوء يكفر ماقبله من الذنوب . وجاء فى (صحيح مسلم – كتاب الطهارة . باب « فضل الوضوء والصلاة عَقِبَه ») أنه إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) خرجت كل خطية نظر إليها بعينه ، مع الماء .

أما فى المسيحية فالوضوء (أو الاغتسال اللازم قبل الصلاة) هو تطهير القلب من الأهواء والشهوات والأفكار الدنيوية الباطلة ، بوضعه تحت تأثير كلمة الله ، لأنها هى التى تنقيه من كل شر يوجد فيه (يوحنا ١٥:٣) .

(٣) وجاء فى فصل ١:١٥٦ ، ٢:١٣٣ ، ١:١٣١ ، ٣:٦١ ، ٢٠:٨٩ أن المسيح كان يدعو للصلاة فى الظهر والمساء والليل والعشاء والفجر ، كما يفعل المسلمون تماماً . مع أن الصلاة فى المسيحية ليست فرضاً يؤدّى بعبارات خاصة فى أوقات معينة . بل هى مناجاة حرة مع الله فى أى وقت من الأوقات ، ومن الواجب أن يعيش المسيحيون فى جوّها كل حين حسب قول الوحى : « مصلّين بكل صلاة وطِلْبة كل وقت فى الروح » (أفسس ٦:١٨) و « واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر » (كولوسى ٤:٢) لأن صلتهم الروحية بالله يجب أن لاتنقطع فى أى

وقت ، و « صلوا بلا انقطاع » (١تسالونيكى ٥:١٧) لأن فيها يكمن سرّ تمتّعهم بالقداسة التى هى الشرط الأساسى لتوافقهم الروحى مع الله (عبرانيين ١٢:١٤) .

(٤) وجاء فى فصل ١٠:٣ و ٤ « فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة ، فنزل إلى قلب يسوع » . وهذا هو الاصطلاح الوارد فى (الشعراء (٢٦):١٩٤) عن نبى الإسلام . مع أن المسيح لم يكن فى حاجة إلى نزول كتاب أو وحى من الله على قلبه ، لأنه هو نفسه « كتاب الله » و « وحى الله » لأنه « كلمة الله » متجسدة وظاهرة (يوحنا ١:١-٥) .

الفصل الرابع

الإعلان عن صلب يهوذا عوضاً عن يسوع

قال كاتب الإنجيل المنسوب إلى برنابا فى فصول ١١٢: ١٣-١٧ و ٢١٦-٢٢٠ و ٢٢١:٢٤ إن يسوع لم يُصلب لأن الله ألقى صورته على يهوذا الذى كان يريد تسليمه لليهود ، فصلبوه عوضاً عن يسوع . أما يسوع فقد رفعه الله إلى السماء . وهذا مايقوله بعض المسلمين ، بينما يقول غيرهم إن اليهود صلبوا يهوذا عوضاً عن المسيح لعدم تحققهم من هيئة كلٍ منهما ، ويقول آخرون إن المسيح هو الذى صلب ، أو مات (لفترة اختلفوا فى تحديد مداها) ، ولذلك رأينا من الواجب أن ندرس فيما يلى هذه الآراء .

١ - آراء القائلين بإلقاء صورة المسيح على آخر ، فصُلب بدله :

أ- لو فرضنا أن الله أراد أن ينقذ المسيح من أيدى اليهود ، لأنقذه بوسيلة تجعلهم يعرفون عظمته وسلطانه المطلق عليهم وعلى غيرهم . فكان (مثلاً) يرفعه حياً أمام عيونهم ، أو يأخذه قسراً من بين أيديهم ، أو يصيبهم بالعمى أو الشلل حتى لايتمكنوا من القبض عليه .. ولكن إنقاذ الله للمسيح بإلقاء صورته على غيره لايُشعِر بشئ من عظمة الله أو سلطانه ، بل بالعكس يجعلهم يعتقدون أنهم تمكنوا بحيلتهم وقوتهم من القبض على المسيح

وصلبه . وبما أن الله لايمكن أن يعمل عملاً يؤدّى إلى عكس الغرض منه ، لذلك لايمكن أن يكون قد رفع المسيح سراً إلى السماء ، أو ألقى صورته على آخر ليصلب عوضاً عنه .

ب- لو ألقى الله صورة المسيح على إنسان ما ليُصلب عوضاً عنه لكان هذا غشاً وخداعاً لا يلجأ إليهما إلا الضعيف المحتال الذى لايستطيع القيام بأعماله جهراً . فلايمكن أن يكون الله قد قام بهذا العمل على الإطلاق ، لأنه بالإضافة إلى عظمته وقدرته اللتين لاحدّ لهما ، هو نور (١يوحنا ١ :٥) والنور لايعرف خداعاً أو مكراً بل يكشف الالتواء .

٢ - آراء القائلين بصلب يهوذا عوضاً عن المسيح لعدم التحقّق من هيئة كل منهما :

أ - كان المسيح معروفاً جيد المعرفة لكهنة اليهود الذين حاكموه وحكموا عليه ، فلم يكن يعيش فى كهف أو مغارة ، بل وسط الناس ، يسير معهم فى الشوارع والحقول ، ويذهب معهم إلى الهيكل والمجامع، وينادى بتعاليم ويقوم بمعجزات جذبت أنظارهم جميعاً . ثم إن الكهنة كانوا يلتفّون حوله من وقتٍ لآخر ليجادلوه فى أمور الدين والدنيا ، فكان يجاوبهم (متى ٢٣ :١٧-٢٠) كما كان يوبخهم على ريائهم وشرورهم (متى ١٥ :١٧-٢٠ و ١٦ :١-٤ ولوقا ١١ :٤٣ ، ٤٤) . فإذا أضفنا إلى ماتقدم أن شعره كان مسترسلاً على كتفيه لأنه (بوصفه ابن الإنسان) كان نذيراً لله من بطن أمه (العدد ١٦ :١٧-٢٠) اتضح لنا أنه لايمكن أن يكون

قد اختلط الأمر عليهم فصلبوا شخصاً عوضاً عنه ، حتى لو كان هذا الشخص له وجه يشبه وجه المسيح . لأن الناس وإن تشابهوا أحياناً فى وجوههم ، فإنهم يختلفون فى قامتهم وبنيتهم ، وطريقة حديثهم ، وغير ذلك من الأمور .

ب - التقى يهوذا بكهنة اليهود مرات متعددة ، وكان يمكث معهم فى كل مرة فترة طويلة ، يتحدث معهم عن حقده على المسيح ، ويساومهم على المبلغ الذى كان يريد أن يتقاضاه منهم لقاء تسليمه إليهم (متى ٢٦:١٥) . وعندما قام بتنفيذ خطته هذه ، أخذ معه إلى المسيح جنوداً يرافقهم بعض الكهنة والشيوخ . (وليس من المعقول أن هؤلاء جميعاً كانوا مصابين بالعمى ، بل لابد أنه كان بينهم أشخاص لهم عيون تبصر !) ثم سار مسافة طويلة حتى خارج المدينة ، حيث يقع البستان الذى اعتاد المسيح الذهاب إليه . الأمر الذى يدل على أن بعض هؤلاء الأشخاص ، إن لم يكن كلهم ، لابد عرفوا على الأقل شيئاً عن قامة يهوذا وملامحه العامة ، وطريقة حديثه ومشيته ، وغير ذلك من الخصائص البارزة له ، لا سيما وقد كانت معهم مصابيح ومشاعل ، أضواؤها لاتلعب بها الرياح ، ونورها قوى وهاج . والأولى كانت تستعمل فى إضاءة الميادين والموانئ ، والثانية كانت تضئ ساحات السباق والمعسكرات . فإذا أضفنا إلى ذلك أن القمر وقتئذ كان بدراً . لأن عيد الفصح الذى قبض فيه على المسيح يقع دائماً فى يوم ١٤ من الشهر القمرى (الخروج ١٢:٦) فيُستطاع التمييز بين شخص وآخر بسهولة ، اتضح لنا أنه

لامجال للظن بأن اليهود قبضوا على يهوذا باعتبار أنه المسيح ، حتى لو فرضنا جدلاً أنهم لم يكونوا على بيّنة من هيئة المسيح وهيئة يهوذا من قبل ، كما يقول أصحاب هذا الرأى .

ج - لم يُحاكم الشخص الذى قبض اليهود عليه أمام كهنتهم مرةً واحدةً فى الليل . أو نُفّذَ فيه الصلب وقتئذ حتى كان يجوز الظن بأنه لم تكن لديهم فرصة كافية للتحقُّق من شخصيته ، بل حوكم أمامهم ثلاث مرات ، من بينها مرة فى الصباح . وعدا ذلك حوكم فى سبعة مواقف أمام بيلاطس فى أورشليم (يوحنا ١٨ :٢٨-١٩ :١٦) كما حوكم أمام هـيرودس الملك فـى الجـليل (لوقا ٢٣ :٨) . والمحاكمتان الأخيرتان كانتا بحضور شيوخ اليهود ، كما كانتا بعد المحاكمات التى قاموا بها بأنفسهم ، وكانتا فيما بين الساعة السادسة والتاسعةِ صباحاً حسب التوقيت المعروف عندنا . ولذلك فهذا الشخص عُرض فى ضوء النهار على كثيرٍ من الناس مرات متعددة وفى أماكن مختلفة ، كما سار بينهم مسافات طويلة ، فكان من الميسور لكهنة اليهود أن يتحقّقوا من شخصيته ، إن كانوا فى شك من جهتها من قبل .

د - أثناء القبض على المسيح ضرب بطرسُ ملخسَ ، عبدَ رئيس الكهنة ، بسيفه فقطع أذنه . فشفى المسيح الأذن المقطوعة ، وأمر بطرس أن يردّ سيفه إلى غمده لأن الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون (متى ٢٦ :٥٢ ولوقا ٢٢ :٥١) . ولايمكن لشبيه المسيح أن يجرى مثل هذه المعجزة فى مثل هذا الموقف .

هـ – عندما كان الشخص المذكور معلّقاً على الصليب ، طلب الغفران لصالبيه قائلاً : « ياأبتاه . أغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣:٣٤) . وقال للص الذى ندم على خطاياه : « اليوم تكون معى فى الفردوس » (لوقا ٢٣:٤٣) . وبعد ذلك قال للعذراء مريم عن يوحنا الرسول : « ياامرأة ، هوذا ابنك » . ثم قال ليوحنا : « هوذا أمك » ليعتني بها ويرعاها (يوحنا ١٩:٢٦ ، ٢٧) . وعبارات مثل هذه لايمكن أن تكون قد صدرت من شخص غير المسيح ، كما لايمكن أن يكون أتباعه قد أسندوها إليه ليثبتوا أنه هو الذى صلب ، لأنه لم يكن هناك وقتئذ شخص يشك فى صلبه .

و – كانت العذراء مريم نفسها وبعض النساء قريباتها ، ونساء أخريات كان المسيح قد شفاهنّ ، مع يوحنا الرسول (أقرب التلاميذ إلى المسيح) بجوار الصليب ، حتى أُنزل الشخص الذى كان معلّقاً عليه ودفن فى القبر . كما أن يوسف الرامي ونيقوديموس (اللذَين كانا على صلة بالمسيح) هما اللذان كفّنا هذا الشخص بأغلى العطور والأطياب ، ووضعاه بعد ذلك بكل احترام فى قبرٍ جديد محاط ببستان . وطبعاً لو لم يكونا على يقين تام من أنه المسيح بعينه ، لكانوا قد تركوه لليهود والرومان ليتولّوا دفنه ، كما كانوا يفعلون مع المحكوم عليهم بالقتل .

ز – أخيراً نقول إن الشخص الذى صُلب ومات قام من الأموات فى اليوم الثالث ، ورآه كثيرون وتحققوا من شخصيته بأدلة كثيرة . ولو كان هناك أى مجال للشك فى خبر قيامته ، لكان

الرومان وكهنة اليهود قد بذلوا كل ما في وسعهم للقضاء عليه ، لأنه كان يهدّد مراكزهم بالانهيار . بل ولَمَا قامت للمسيحة أية قائمة ، إذ لايمكن أن يقوم دِين من الأديان على شخصٍ أعلن أنه سيقوم بعد موته ، ولكنه لم يقم . وبما أنه لو كان الشخص الذى صلب هو يهوذا أو غيره من الناس ، لكان قد ظل فى قبره . إذاً فالشخص الذى صلبه اليهود كان هو المسيح بعينه ، لأنه هو وحده رئيس الحياة (أعمال ٣:١٥) الذى لايمكن أن يسود عليه الموت (رومية ٦:٩) . أما الموت الذى وافاه فكان بإرادته وحده ليكون كفارة عن البشر . وطالما أنه كفّر عنهم ، لم يكن من الممكن أن يظل فى قبره مثل الناس .

٣ - آراء المسلمين القائلين بصلب المسيح أو موته لفترة ما ، وأسبابها :

(أ) آراء القائلين بصلب المسيح :

(١) قال الربيع بن أنس : « إن الله توفى المسيح حين رفعه إلى السماء » . وقال وهب : « المسيح تُوفى ثلاث ساعات » . وقال ابن إسحق : « المسيح تُوفى سبع ساعات . ثم أحياه الله ورفعه » (تفسير الإمام الرازى ج٢ ص ٤٥٧-٤٥٨) .

(٢) وقال مالك : « من المحتمل أن يكون المسيح قد مات حقيقةً وأنه سيحيا فى آخر الزمان ويقتل الدجال » (شرح الآبى والسنوسى ج١ ص ٢٩٥) .

(٣) وقال إدريس : « **الله أمات المسيح ثلاثة أيام ، ثم بعثه ورفعه** » (تفسير ابن كثير لآل عمران ٣:٥٥) . وهو مايقول به المسيحيون .

(٤) وقال أيضا بصلب المسيح وموته : ابن حزم . وأبو على الجباتى المعتزلى ، وأتباع قاديان المنتشرون فى إيران والهند وباكستان (نظرة عابرة على مزاعم من ينكر نزول عيسى ص ٨ و ٣٠ و ٣٢) . أما مرزا غلام أحمد رئيس **طائفة الأحمدية** ، فقال : « **إن المسيح صلب** ، لكن أتباعه أنزلوه عن الصليب قبل أن يموت » .

(٥) وقال إخوان الصفا فى القرن الرابع للهجرة عن المسيح : وخرج فى الغد وظهر الناس وجعل يدعو ويعظهم حتى أخذ وحمل إلى ملك إسرائيل ، فأمر بصلبه ، فصلب وسمرت يداه على خشبة الصليب ، وبقى مصلوباً من صحوة النهار إلى العصر . وطلب الماء ، فسقى الخل . وبعد ذلك طعن بالحربة ودفن مكان الخشبة ، ووكل بالقبر أربعون نفراً ، وهذا كله بحضرة أصحابه وحوارييه . ثم اجتمع هؤلاء بعد ثلاثة أيام فى الموضع الذى وعدهم أن يتراءى لهم فيه (أى بعد قيامته من الأموات) فرأوا تلك العلامة التى كانت بينه وبينهم . وفشا الخبر فى بنى إسرائيل أن المسيح لم يقتل . والسبب فى هذا الخبر هو (طبعاً) أن من يقتل يموت ولايقوم ، أما المسيح فقام بعد موته .

(٦) وقال الشيخ أحمد بن يعقوب فى القرن الثالث للهجرة فى كتابه (تاريخ اليعقوبى ج١ ص ٦٤) نقلاً عن إنجيل المسيحيين إنه لما طلب اليهود من بيلاطس أن يصلب المسيح ، قال لهم : « خذوه أنتم واصلبوه ، وأما أنا فلا أجد عليه علة » . فقالوا « قد وجب عليه القتل لأنه قال إنه ابن الله » . فأخرجه بيلاطس وقال لهم : « خذوه أنتم واصلبوه » . فأخذوا المسيح وأخرجوه وحمّلوه الخشبة التى صلبوه عليها .

(٧) وقال الإمام محسن فانى فى كتابه الدابستانى فى القرن التاسع للهجرة : إنه عندما قبض اليهود على عيسى بصقوا على وجهه المبارك ولطموه . ثم أن بيلاطس حاكم اليهود جلده حتى أن جسمه من رأسه إلى قدمه صار واحداً .. ولما رأى بيلاطس إصرار اليهود على صلب عيسى وقتله ، قال : « إنى برئ من دم هذا الرجل ، وأغسل يدىّ من دمه » . فأجاب اليهود : « دمه علينا وعلى أولادنا » . ثم وضعوا الصليب على كتف عيسى ، وساقوه للصلب (عن كتاب المسيح كما يراه المسلمون لصموئيل زويمر ص ٨٢)

(٨) وقال شوقى (أمير الشعراء) مخاطباً المسيح فى قصيدته « الأندلس الجديدة » :

عيسى ! سبيلك رحمةٌ ومحبةٌ
في العالمين ، وعصمةٌ وسلامُ
ماكنتَ سفّاك الدماءِ ، ولا أمرأً
هـان الضّعافُ عـليه والأيتامُ

يا حاملَ الآلامِ عن هذا الورى
كثُرت عليهِ باسمِك الآلامُ
خلطوا صليبَك والخناجرَ والمُدَى
كُـلٌّ أداةٌ لـلأذى وحِمامُ

(٩) وقال الأستاذ على محمود طه مخاطباً المسيح :

نسىَ القومُ وصـاياك وضـلّوا وأساءوا
وكـما باعـوك يامـنقذُ يبـعَ الأبريـاءُ
ياقوياً لـم يهنْ يـوماً عليـه الضـعفاءُ
وضـعيفاً ، واسمهُ يُصـرَعُ منه الأقوياءُ
وأنا المسـلم لايُجـحَدُ عنـدى الأنبياءُ
أنـت فـى القرآنِ حـبٌ وجمالٌ ونقاءُ
عَجَبٌ فِديتك المُثلى وفى القولِ عزاءُ
ألهذا العالمِ الشرّيرِ ؟ قد ضاع الفداءُ !

(جريدة الأهرام القاهرية – ٢٥ ديسمبر ١٩٤٢)

(١٠) وقال الشاعر والفنان المصرى محمد نجيب سرور فى ديوانه « لزوم مايلزم » يتخيل حديثاً دار بين المسيح وتلاميذه ، جعل عنوانه « العشاء الأخير » :

– غداً أكون على الصليب ، أنا العريس !! .

– نفديك بالدم يامعلم .. بالنفوس ..

– لاتكذبوا ، فلسوف يُسْلمني الذى منكم يشاركني الغموس !!

– آأنا أخونُكَ ؟ .

– ... أنت قلت ! .

– وأنا ؟ .

– ستنكرُني ثُلاثاً قبلما الديكُ يصيحْ .

– إنّا لنُقسِم يامسيحْ

– لاتُقسِموا .. فغداً أكونُ على الصليبْ

– وغداً لناظِرِه قريبْ !! .

ب – الأسباب التى بنى عليها الأشخاص المذكورون آراءهم :

إذا استثنينا الشيخ أحمد بن يعقوب ، والأشخاص السابق ذكرهم ، فى بندى (١ ، ٤) بوصفهم مخدوعين أو متأثرين بالعقيدة المسيحية من جهة صلب المسيح (كما يقول البعض) فإن الباقين ، كلهم أو بعضهم ، يكونون قد قالوا بصلب المسيح أو موته لعدم موافقتهم على الرأيين الخاصين بصلب أحد الناس عوضاً عن المسيح ، للأسباب التى ذكرناها أو لأسباب غيرها .

٤ – أسباب اعتقاد المسيحيين بصلب المسيح :

أما المسيحيون فيبنون اعتقادهم بصلب المسيح على الأدلة الآتية :

أ - الأدلة الكتابية :

أعلن الكتاب المقدس ، الذى أثبتنا صدقه فى الجزء الأول ، صلب المسيح بكل جلاء ووضوح . فقد سجّلت البشائر حادثة صلبه بالتفصيل ، كما أشارت إليها الرسائل أكثر من مائتى مرة عند الحديث عن محبة الله للخطاة ، وغير ذلك من الموضوعات . فضلاً عن ذلك فإن أنبياء العهد القديم تنبأوا عن صلب المسيح نبوّات متعدّدة فى عصور متفاوتة . وتدل القرائن على صدق ماذكروه جميعاً ، بل إن المسيح نفسه تنبأ عن الصلب ، وذهب إليه طواعية.

ب - الأدلة التاريخية :

(١) أشار تلمود اليهود وكتبهم التاريخية القديمة والحديثة ، وكذلك الكتب التى ألفها مؤرخو اليونان والرومان فى القرنين الأول والثانى ، إلى محاكمة المسيح وصلبه .

(٢) هناك مؤلفات كثيرة لكتّاب مسيحيين عاشوا فى القرون الثلاثة الأولى مثل أكليمندس وأغناطيوس وبوليكاربوس وترتوليان وبابياس ويوستينوس ومثوديوس ، تعلن أن المسيح رضى بآلام الصلب ليكون كفارة عن البشر أجمعين . وهذه الكتب محفوظة إلى الآن فى المتاحف ودور الكتب الأوربية .

(٣) هناك كتب دينية كُتبت بعد ظهور الإسلام بقرن من الزمان تعلن أن المسيح مات مصلوباً ، أقربها كتاب صلاة يرجع إلى القرن الثامن ، عثر عليه أساتذة من جامعة شيكاغو فى ديسمبر (ك١) ١٩٦٥ بمنطقة قصر الوز فى بلاد النوبة (السودان) . وقد

جاء فيه أن المسيح خاطب الصليب قائلاً : « أيها الصليب المقدس ! سوف أصعد إليك . سوف يشنقوننى فوقك . وسوف تكـون شاهدى » (عن جريدة الأهرام القاهرية ٢٦ ديسـمبر (ك١) ١٩٦٥) .

(٤) فضلاً عن ذلك ، فإن التاريخ يسجل لنا أنه فى سنة ٣٢٥م عقد فى نيقية عاصمة بيثينية فى آسيا الصغرى مجمع بأمر قسطنطين الأكبر ، حضره ٣١٨ أسقفاً من جميع أنحاء العالم ، وكثير من القسوس والعلماء أيضاً ، لوضع قانون للإيمان المسيحى بمناسبة انتشار بدع الغنوطسيين وغيرهم ، فتمّ وضـعه فى هذه السنة . ويقول مطلعه : « بالحقيقة نؤمن بإله واحد » . وجاء فـيه « يسوع المسيح تأنس وصلب عنا فى عهد بيلاطس البنطـى وتألـم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب المقدسة » ولايزال هذا القانون معروفاً لدى جميع المسيحيين على اختلاف طوائفهم .

ج – الأدلة الأثرية :

(١) اكتشف علماء فرنسيون صورة الحكم الذى أصدره بيلاطس البنطى بصلب المسيح ، أثناء مرافقتهم الجيش الفرنسى فى زحفه إلى إيطاليا سنة ١٢٨٠م .

(٢) كما اكتشف العلماء الألمان الرسالة التى أرسلها بيلاطس إلى طيباريوس قيصر ، مبيّناً فيها الأسباب التى دعت إلى صلب المسيح فى روما سنة ١٣٩٠م .

(٣) هناك آثار متعددة من صور بالزيت وحفر على قطع من الخشب والحجر والرخام ، يرجع تاريخها إلى القرنين الأول والثانى ، تدل على أن اليهود صلبوا المسيح . وقد نقل الصور الفوتوغرافية لها كثير من العلماء . اقرأ مثلاً كتاب « الاكتشافات الحديثة وصدق وقائع العهد الجديد ، للسير وليم رمزى » .

(٤) القبر الذى دُفن المسيح فيه ، موجود إلى الآن فى أورشليم خالياً من جسده ، ويزوره كل عام ملايين المسيحيين منذ القرون الأولى ، مما يدل على أن المسيح مات ودفن ، وأنه قام بعد ذلك من الأموات ، كما سجل الكتاب المقدس .

د – الأدلة العقلية :

(١) كان الصليب مكروهاً من جميع الناس قبل ظهور المسيحية ، لأنه كان آلة الإعدام التى يقتل عليها أشر المجرمين . لكن المسيحيين أعتادوا منذ القرون الأولى للمسيحية أن ينقشوا رسمه على أيديهم ومعابدهم ، وعلى منازلهم ومقابرهم أيضاً ، كما اعتاد ملوكهم أن يزيّنوا به تيجانهم وعروشهم ، ومازالت بعض الدول تزيّن به أعلامها ، مما يدل على أن الصليب حمل منذ ذلك العهد فكرةًمجيدةً وثقة أكيدة بأن المسيح الذى اعتادوا أن ينقشوا رسم صليبه فى كل مكان ، هو فاديهم ومخلصهم الكريم .

(٢) لم يكن الذين نادوا بصلب المسيح أعداء له (حتى كان يجوز الظن أنهم أرادوا التشهير به) بل هم تلاميذه الذين أحبوه وتركوا كل شئ وتبعوه . وإذا كان التلاميذ المخلصون يكرمون

معلّمهم ، ويحاولون أن يُبعدوا عنه كل مايهين سمعته أو يحقر من شأنه ، فلابد أن ماقاله تلاميذ المسيح عن صلبه قد حدث فعلا أمام عيونهم .

(٣) لو أن هؤلاء التلاميذ نالوا من وراء المناداة بصلب المسيح مالاً أو جاهاً ، لكان من الجائز أيضاً الطعن فى تاريخية الصلب بدعوى السعى وراء هذا أو ذاك ، لكنهم بالعكس ، لم يُقابَلوا إلا بالهزء والسخرية والتهكم والازدراء . وبما أنه ليس من المعقول أن تختلق جماعة من الناس (لاسيما إذا كانت متباينة فى السن والثقافة والطباع) أمراً لا حقيقة له ، يتحمّلون فى سبيله الآلام والاضطهادات ، ومع ذلك يواظبون على المناداة به ، فلابد أن كل ماقاله تلاميذ المسيح عنه قد حدث فعلاً أمام عيونهم كما ذكرنا .

الفصل الخامس

عدم كتابة « إنجيل برنابا » بالوحى الإلهى

١ - فى « إنجيل برنابا » تجاديف :

أ - جاء فيه فى فصل ٢٢:٣٥ و ٢١:٤١ ، ٢٢ و ٢٥:٥١ ، ٢٦ أن الله قال لملائكة الشيطان : « توبوا واعترفوا بأننى أنا الله خالقكم » . أجابوا « إننانتوب عن السجود لك ، لأنك غير عادل . ولكن الشيطان عادل وبرئ ، وهو ربنا » . وأن الشيطان ذهب مرة إلى الله ضاحكاً (أو بالحرى ساخراً) يقول إنه سيزعج الله حتى يعلم أنه أخطأ بطرده (أى طرد الشيطان) من الفردوس . مع أن ملائكة الشيطان لايمكن أن يتحدثوا مع الله بهذا الأسلوب الوقح . وأن الشيطان (إن كان من الجائز إسناد الضحك إليه) لايجسر أن يضحك أمام الله أو يسخر منه ، لأن الشيطان ورسله ليسوا أعظم من الله أو اندادا له ، بل هم مخلوقون بواسطته . والمخلوق الناكر الجميل ، وإن كان فى جهله يجدّف أحياناً على خالقه ، لكن عندما يواجهه ، لايستطيع أن يرفع رأسه أو ينبس ببنت شفة أمامه .

أما الكتاب المقدس فيقول إن الشياطين يؤمنون ويقشعرون من جلال الله (يعقوب ١٩:٢) وإن رئيسهم هبط ساقطاً مثل البرق أمامه (لوقا ١٨:١٠) وإنه كان يرتعب من المسيح رعباً لامزيد عليه (مرقس ٧:٥) وإن الله سيسحقه تحت أقدام المؤمنين الحقيقيين (رومية ٢٠:١٦) .

ب - وجاء فى فصل ١٥٩ :٢٢ « الكذب الذى أمر الله الأنبياء الكَذَبة أن يتفوّهوا به » وفى ١٦١ :١٠ أن الله اعتبر الكذب فى سبيل الحمد (أو المدح) فضيلة . مع أن الله منزه عن الكذب (تيطس ١ :٢) وقد نهى عن الكذب نهياً باتاً ، فقال : « لاتكذبوا بعضكم على بعض » (كولوسى ٣ :٩) كما قال : « اطرحوا عنكم الكذب » (أفسس ٤ :٢٥) .

ج - وجاء فى فصل ٥١ :٤-٢٠ حديث ومجادلة بين مسيح برنابا المزعوم والشيطان لعمل مصالحة بينهما . مع أن هذا لايتفق مع عزَّة الله ، كما أن المسيح دخل منذ البدء فى حـرب مع الشيطان .

٢ - فيه أكاذيب :

وهذه نوعان (الأول) أكاذيب عامة (الثانى) أكاذيب ناجمة عن عدم الإلمام التام بالتوراة . كما يتضح مما يلى :

أ - الأكاذيب العامة :

(١) جاء فى فصل ٩٧ :٣ أن كهنة اليهود قالوا إنهم سيكتبون إلى مجلس الشيوخ الرومانى المقدس لإصدار أمر ملكى بأن لايقول أحد عن يسوع إنه الله أو ابن الله . وجاء فى ٨٣ :١٢ أن يسوع حفظ مع تلاميذه الأربعين يوماً (أو بالحرى صوم الأربعين) مع أن من له إلماماً بالتاريخ ، يعلم أن ماقيل عن مجلس الشيوخ الرومانى هو محض افتراء ، لأن هذا المجلس لم يكن يعبأ بالشئون

الدينية اليهودية ، كما أن المسيح وحده هو الذى صام أربعين يوماً . أما صوم الأربعين (بال التعريف) المعروف عند كثيرين من المسيحيين ، فلم يتقرر رسمياً إلا فى القرن الرابع للميلاد ، مما يدل على عدم معرفة كاتب إنجيل برنابا بالحقائق التاريخية .

(٢) وجاء فى فصل ١٤٥ :٤٣ أنه يكفى للإنسان كل ليلة ساعتان للنوم . ويتكرر المعنى فى ١٠١ :٥ و ١٠٩ :٤ عن وجوب قلّة النوم . وجاء فى ١٦٧ :٢ أن الأرض مستقرة على سطح الماء . مع أن :

(أ) الإنسان يحتاج من ٦–٨ ساعات للنوم كل ليلة .

(ب) وأن الأرض كوكب يسير فى الفضاء ، وليس مستقراً على شئ . وقد أشار الوحى إلى هذه الحقيقة فقال عن الله إنه يعلّق الأرض على لاشئ (أيوب ٢٦ :٧) ، أو بلغتنا العصرية يعلقها بواسطة الجاذبية .

(٣) وجاء فى فصل ٢١٧ :٤٥ أن المسيح طبع بسحره صورة وجهه على وجه يهوذا . وجاء فى ٢٠٨ :١٠ أن الفريسيين بسبب رغبتهم فى قتل يسوع أعماهم الحنق . فضرب بعضهم بعضاً فى الهيكل ، حتى مات منهم هناك ألف رجل . مع أن :

(أ) المسيح كان أبعد مايكون عن السحر . وقد أعلن كاتب « إنجيل برنابا » أنه له المجد « قدوس الله » .

(ب) كما أنه لايعقل أن يضرب الفريسيون بعضهم بعضاً فى ذات الهيكل ، ودون أن يدروا ماذا يفعلون ، ولو فرضنا أنهم أُصيبوا

بالجنون وقتئذ ، لكان حراس الهيكل ، وهم كثيرون ، قد تداخلوا في الأمر وطردوهم منه في الحال حرصاً على سير العبادة فيه بكل وقار .

ب - الأكاذيب الناتجة عن عدم الإلمام التام بالتوراة . ويبدو أن كاتب « إنجيل برنابا » ، مع يهوديته ، لم يكن من علماء شريعتها الذين لهم إلمام تام بالتوراة ، بل كان أحد رجال السياسة أو المال والأعمال ، كما يظهر من الأخطاء الآتية :

(١) جاء في فصل ١١٥ :٧ أن الذين نجوا مع نوح من الطوفان كانوا ٨٣ شخصاً .وجاء في ١٥٠ :٢٤ أن داود اعتلى العرش عندما كان ابن ١٥ سنة .وجاء في ١٨١ :١١ أن الله قال على لسان داود أن الصدّيق يسقط سبع مرات في اليوم ، مع أن :

(أ) الذين نجوا من الطوفان بمن فيهم نوح كانوا ثمانية أشخاص فحسب (تكوين ٧:٧) .

(ب) وأن داود إعتلى العرش عندما كان عنده ٣٠ سنة (٢صموئيل ٥:٤ ، ٥) .

(ج) وأن القول المنسوب إلى داود ، جاء على لسان سليمان الحكيم ، وصوابه « الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم » (أمثال ٢٤ :١٦) .

(٢) وجاء في فصل ١٣٨ :٤ أن إيليا خادم الله لم يرَ خبزاً مدة ثلاث سنوات . وجاء في ١٦٠ :١ أن دانيال النبي سجل أن

أحد ملوكِ إسرائيل تحالف مرة مع أحد ملوك يهوذا لمحاربة بنى بليعام (أى عبدة الوثن) . وجاء فى ١٦٥ :١ أن الله قال على لسان يوئيل النبى : « لعمرى يقول إلهكم لا أريد موت الخاطئ ، بل أود أن يتحول إلى التوبة » ، مع أن :

(أ) الله كان يأتى إيليا بخبزٍ ولحم (١ملوك ١٧ :١-٧) .

(ب) وأن الحادثة المسنَدة إلى دانيال النبى ، كان قد سجّلها ياهو بن حنانى (٢أخبار ٢٠ :٣٤) ، وموجودة بالتفصيل فى (١ملوك ٢٢:٣-٣١) .

(ج) وأن القول الأخير جاء على لسان حزقيال النبى : « هل مسَرَّةً أُسرُّ بموت الشرير ؟ أَلاَ برجوعه عن طريقه فيحيا ؟ » (حزقيال ١٨:٢٣) .

٣ – فيه خرافات :

أ – جاء فى فصل ٣٥:٦ ، ٧ ، ٢٦ ، ٢٧ أن الله خلق كتلة من التراب ليصنع منها آدم . ثم تركها ٢٥ ألف سنة دون أن يفعل بها شيئاً . فبصق الشيطان عليها ، وحينئذ أسرع جبريل برفع هذا البصاق مع شئ من التراب الذى تحته ، فكان للإنسان بذلك سُرّة فى بطنه . وجاء فى ٣٩ :٨-١٢ ، ١٢٣ :٣ أن الشيطان لما رأى الخيل فى الجنّة تأكل العشب أوعز إليها أن تذهب إلى كتلة التراب (السابق ذكرها) فهاجت الخيل وأخذت تعدو بشدة عليها . فأعطى الله روحاً لذلك الجزء النجس الباقى من التراب الذى وقع

عليه بصاق الشيطان ، فأصبح كلباً . فأخذ هذا الكلب ينبح حتى أزعج الخيل وطردها . وبعد ذلك خلق الله ادم وامرأته من التراب والهواء والماء والنهار . وجاء فى ٣٥:٨ أنه لما علم الشيطان الذى كان بمثابة كاهن ورئيس ملائكة أن الله سيأخذ من الكتلة المذكورة ١٤٤ ألف نبى ، قال لأتباعه إن الله سيطلب منهم أن يسجدوا لها .

وازاء هذه العبارات نقول :

(١) إن ترك كتلة التراب التى يقال إن الله أراد أن يخلق منها آدم ٢٥ ألف سنة دون أن يعمل بها شيئاً ، يتعارض مع قدرته تعالى ، لأنه هو الذى يقول للشئ « كن » « فيكون » . وهو لايحتاج فى أداء عمل من أعماله إلى وقت ما .

(٢) إن الشيطان روح ، والروح لا يبصق .

(٣) تتكون السرّة من قطع الحبل السرى بعد الولادة ، ومِن ثم فآدم لم تكن له سُرَّة ! .

(٤) وإذا فرضنا أن الخيل أخذت تعدو على كتلة التراب التى يقال إن الله أراد أن يخلق آدم منها ، لم يكن ثمّة داعٍ أن يروعها تعالى بواسطة كلب يخلقه ، إذ كان من الميسور له أن يطردها أو يقضى عليها أيضاً بكلمة واحدة .

(٥) وإذا فرضنا أن الكلب حيوان نجس ، لما طرد الخيل من الجنة ، بل لساعدها على تنفيذ إرادة الإنسان .

(٦) القول إن الإنسان مخلوق من التراب والماء والهواء والنار ، هو قول المنجّمين الذين قالوا إن مزاج الإنسان إما ترابى أو مائى أو نارى أو هوائى ، وذلك تبعاً ليوم ولادته واسم أمه ... وقولهم هذا لانصيب له من الصواب .

(٧) أخيراً نقول إن الكهنوت لامجال له إلا إذا كان هناك بشر . فالقول إن الشيطان كان قبل خلقهم بمثابة كاهن هو قول هراء . كما أن الادعاء أن الشيطان علم مسبّقاً أن الله سيخلقٍ من كتلة التراب أنبياء ، ثم سيأمر الشيطان وأتباعه بالسجود لها ، تسند علم الغيب إلى الشيطان ، مع أن الله هو علام الغيوب .

أما ماسجله الكتاب المقدس عن خلق آدم فهو : « جَبَلَ الرب الإله آدم تراباً من الأرض ،ونفخ فى أنفه نسمة حياةٍ آدم نفساً حية » (تكوين ٢ :٧) . فليقارن القراء بين ماسجله الكتاب المقدس ، وبين ماسجله « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا .

ب – وجاء فى فصل ٤٠ :٩–١١ ، ١٦ أن الشيطان طلب من الحية أن تفتح فمها ليدخل فى بطنها ، كما طلب منها أن تضعه بعد ذلك على مقربة من حواء ، ولما فعلت ذلك ، قال لحـواء : « يجب أن تعرفى أن الله شرير وحسود » . وجاء فى ٤٠ :٢٨ أن آدم عندما أكل من الشجرة ، أراد أن يوقف نزول الطعام إلى جوفه ، فوضع يده فى حلقه ، فظهرت العلامة الخاصة فيه . وجاء فى ٣٩ :٣٦ أن ماينهى الله آدم عن الأكل منه هو التفاحة والحنطة ، مع أن :

(١) الشيطان روح ، ولذلك لايدخل فى بطن إنسان أو حيوان ، وكل مايعمله أنه يغرى الناس على القيام بأعمال خاصة بواسطة تصويرها أمام أذهانهم بصورٍ جذابة ، دون أن تكون له قدرة على دفعهم إليها . كما أنه ليس فى حاجة إلى أن ينقله أحد من مكان إلى آخر ، لأنه يستطيع القيام بهذا العمل بنفسه بكل سرعة . فضلاً عن ذلك فهو ليس بالكائن الجاهل حتى يقول لحواء عن الله إنه شرير وحسود ، وإلا انكشفت نواياه السيئة فى الحال ، ونفرت حواء من سماع صوته .

(٢) العلامة التى يُقال بوجودها فى رقبة الرجل وحده وتسمى عند العامة « تفاحة آدم » مشتركة بين الرجل والمرأة . كل مافى الأمر أن طبقة من الدهن تغطيها عند المرأة . ولو فرضنا جدلاً أن العلامة المذكورة تكوّنت فى آدم ، عندما أراد أن يوقف نزول الطعام إلى جوفه (كما يقال) لما ورثها البشر عنه ، لأن البشر لايرثون عن والديهم الأعراض أو العلل الجسمية التى تحل بهم . كما أن الطعام الذى نأكله لايمر بالحلق أو الحلقوم ، كما ذهب المدعو برنابا ، بل يمر فى المرئ ومنه إلى المعدة . لأنه لو مر بالحلقوم لذهب إلى القصبة الهوائية ، وسبّب الموت خنقاً .

(٣) والادعاء أن الله نهى آدم عن التفاح والحنطة يثير العجب ، لأن هذين طعامان رئيسيان . كما أنه لو كان الله قد نهاه عنهما ، فلماذا سمح لنا بالأكل منهما ومن غيرهما ماشئنا !! .

أما ماذكره الكتاب المقدس عن هذه الأمور فهو أن الشيطان ، ممثّلاً فى الحية ، قال لحواء : « الله عالم أنه يوم تأكلان (هـى وآدم) من ثمر الشجرة (المنهى عنها) تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر . فاغترّت حواء بقوله وأخذت من ثمر الشجرة وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل (تكوين ٣:١-٧) فليقارن القراء بين ماسجله الكتاب المقدس ، وماسجله « الإنجيل » المنسوب إلى برنابا .

ج - وجاء فى فصل ٢٣ :٣-١١ أن آدم أراد بعد عصيانه أن يقطع « جسده » (بمعنى عضوه الجنسى) ، فأرشده الملاك إلى قطع الغلفة منه فحسب . وفى ٤١ :٢٠ ، ٢١ أن الله أمر ميخائيل أن يقطع قوائم الحية التى دخل فيها الشيطان حتى إذا أرادت السير تزحف على بطنها هى ونسلها . وجاء فى ٢٧ :٥ أن الله مسخ بعض المصريين حيوانات لأنهم استهزأوا بآخرين ، مع أن :

(١) فكرة قطع العضو الجنسى لا تخطر ببال الرجل إلا إذا كان مصاباً بالجنون ، أو كان يعتبر الزواج أمراً نجساً . ولم يكن آدم واحداً من هذين الشخصين . كما أن الختان (كما يتضح من التاريخ) لم يكن له وجود قبل إبراهيم الخليل ، الأمر الذى يدل على أنه حتى إذا قيل إن المراد هو الختان ، فإن هذا القول ، لايكون صحيحاً .

(٢) ولو فرضنا أن ميخائيل قطع قوائم الحية ، فإن هذا القطع لم يكن يؤدى إلى ولادة نسلها دون قوائم . لأن النسل لايرث مايطرأ على جسم والده من تغيير بسبب حادثة ما ، كما ذكرنا .

(٣) مسخ الله بعض الناس إلى حيوانات ، بسبب شرورهم وآثامهم لايتفق مع ناموسه الثابت المعروف فى كل الكائنات . لكنه (كما يتضح من الكتاب المقدس) يعاقبهم بالضيقات والآلام المتنوّعة حتى يستفيقوا من غفلتهم ويعودوا إلى طاعته . فضلاً عن ذلك فإن المسخ ليس له أساس فى الكتاب المقدس ، بل هو من القصص التى يبثّها السحرة قديماً فى أذهان الناس ، لإرعابهم وإزعاجهم . وهذه القصص كما نعلم لانصيب لها من الصواب .

د - وجاء فى فصل ١٤:٥٧ أن كل قَمْلة كانت على إنسان حباً فى الله تتحول إلى لؤلؤة ! وجاء فى ٤:٧٤ أن سليمان الحكيم كان قد أعدّ وليمة لكل المخلوقات ، فانقضّت سمكة على كل ما فى الوليمة من طعام وأكلته .

وإزاء العبارة الأولى نقول : حقاً إن الله يكافئنا عن جهادنا فى سبيل الحق بأكثر مما نظن أو نفتكر ، ولكن حاشاه أن يطلب منا أن نكون قذرين ، ليحوّل كل قَمْلة نسمح بوجودها فى ملابسنا حُباً فى ذاته إلى لؤلؤة . لأنه يريد أن يكون كل منا نظيفاً لاقذراً .ومع كل فإن المدعو برنابا ، قد كشف لنا بقوله هذا عن آرائه ومنهاجه فى الحياة . فهو إما اعتبر قتل القمل جريمة يعاقب المولى قاتلها ، أو أنه كان يتعمّد عدم تنظيف جسده وملابسه ليظهر للناس أنه لتفانيه فى العبادة لايبالى حتى بالنظافة ، التى هى من أهم ضروريات الحياة !! وهكذا تنكّر للقول المأثور « النظافة من الإيمان » .

أما من جهة العبارة الثانية فإنها لاتحتاج إلى ردّ لإظهار مافيها من بهتان . وماسجلناها إلا ليرى القارئ عقلية كاتب « إنجيل برنابا » التى كانت تدعوه لاختلاق أحداث ماأنزل الله بها من سلطان .

هـ– وجهلاً بمعانى الكلمات وأصلها جاء فى فصل ١٤٤ :١٠ أن كلمة فردوس كنعانية تعنى « يطلب الله » . وبحسب ١٤٤ :١٣ نفس المعنى هو لكلمة فريسى ! ويمدح الفريسى الحقيقى فى فصل ١٥١ :١ ، ٢ و ١٠–١٧ دون أن يدرك المعنى وأصل الكلمة . والواقع أن كلمة « فردوس » فارسية وتعنى حديقة . أما كلمة « فريسى » فآرامية وتعنى المعتزل ، والفريسيون جماعة بالغت فى التدين ، وأشار ف. يوسيفوس لأول جماعة ظهرت بهذا الاسم تحت قيادة يوحنا هيركانوس الأول (١٣٥–١٠٤ ق. م) .

٤ – فيه مبالغات :

أ – جاء فى ٣٤ :١٦ أن آدم وحواءٍ بكيا لأجل خطيتهما مئة عام ، وجاء فى فصل ٣٣ :٢٢ أن الذين قتلوا من بنى إسرائيل لعبادة العجل كانوا ١٢٠ ألف شخصاً . وجاء فى ١٤٥ :١–٣ أنه كان فى أيام إيليا ١٢ جبلا يسكنها ١٧ ألف فريسى . وأن إيليا ذبح عشرة آلاف رجل كانوا يعبدون الأوثان (١٤٨ :٧) . وجاء فى ١٣ :١٠ أن الله أوصى مليون ملاكاً ليحرسوا ثياب المسيح . وجاء فى ١٥٢ :٤ أن عدد آلهة الرومان كانوا ٢٨ ألف إلهاً ، مع أن :

(١) الله كان قد أنبأ آدم وحواء بمجئ مخلص لهما يخلصهما من نتائج خطيتهما فور شعورهما بها (تكوين ٣:١٥) فلم يكن هناك داع لأن يبكيا هذه السنوات الطويلة .

(٢) وأن الذين قتلوا بسبب عبادة العجل كانوا ثلاثة آلاف فقط (الخروج ٣٢:٢٨) .

(٣) وأن بلاد إسرائيل ليس بها العدد المذكور من الجبال . وأنه لو كان المراد بالفريسيين الأشخاص الذين لم يسجدوا للأوثان فى أيام إيليا ، فقد كانوا سبعة آلاف فقط (١ملوك ١٩:١٨) . وأن الذين ذبحهم إيليا من كهنة الأوثان كانوا ٤٥٠ فقط (١ملوك ١٨:٢٢) .

(٤) وأن المسيح لم يكن يقتنى إلا ثوباً أو ثوبين على الأكثر لأنه ارتضى حياة الفقر ، فلم يكن فى حاجة إلى ملاك واحد ليحرس ثيابه ، إذا استلزم الأمر .

(٥) وأن عدد آلهة الرومان ، كما يتضح من أساطيرهم ، لم يكونوا أكثر من مئة إله .

ب - وجاء فى فصل ٣٥:٨ أن عدد الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى العالم ١٤٤ ألف نبى . وفى ٢١:٦ أن المجنون الذى شفاه المسيح كان به ٦٦٦٦ شيطاناً . وفى ١٣٦:١٧ و ١٣٧:١ أن الناس الذين لهم إيمان بدون أعمال سيمكثون فى الجحيم ٧٠ ألف سنة فقط . وفى ٥١:٢٢ ، ٢٣ و ٥٧:٢ ، ٣ أن ميخائيل سيضرب

الشيطان بسيف الله مئة ألف ضربة ، كل ضربة منها توازى عشرة أمثال الجحيم . وفى ٥٣:١٥-١٩ أنه قبل يوم الدينونة يتحول القمر إلى كتلة من الدم ، حتى أن الدم يتساقط منه على الأرض كما يتساقط الندى ، وتقع حرب هائلة بين الأجرام السماوية ، وتبكى النباتات وقتئذٍ بدل الدمع دماً ، وجاء فى ٥٥:١٤ أن العين الواحدة ستذرف فى جهنم ماء أكثر من مياه الأردن ، مع أن :

(١) عدد الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى العالم (كما يتضح من الكتاب المقدس) لايتجاوز مائة نبى .

(٢) وأن حصر عدد الشياطين التى كانت فى المجنون ، لم يُراعِ فيه سوى تكرار رقم ٦ إلى مرتبة الآلاف ، وهو حصر وتكرار لايقومان على أساس .

(٣) وأن الذين لهم إيمان بدون أعمال يكون إيمانهم ميتاً ، فلا يمكنهم التمتع بالله على الإطلاق ، لأن التمتع به مقصور على المؤمنين الحقيقيين الذين حصلوا منه على طبيعة روحية يستطيعون بها التوافق معه فى صفاته الأدبية السامية (١بطرس ١:٣-٧ و ٢بطرس ١:٣-٥) . ولذلك سيظل المؤمنون بالاسم مع الأشرار بعيدين عن الله إلى الأبد .

(٤) وأن الشيطان روح لاجسم له ، لذلك لايمكن ضربه كما يقال . فالقول إن الملاك سيضربه بما يوازى مليون جحيم هو رمية دون رامٍ .

(٥) والقول إن الدم يتساقط من القمر على الأرض كالندى هو قول هراء ، لأن القمر جماد لايشعر ولايحس ، كما أنه لايجرى فيه دم ما ، فضلاً عن ذلك فإن الناس (وليس النباتات) هم الذين سيبكون بدل الدمع دماً ، لأنهم هم الذين سيرتعبون من حضرة الله بسبب خطاياهم . ولو فرضنا جدلاً أنه فى الأبدية ستكون للناس عيون مادية تذرف دموعاً مادية فإن جهنم (بناءً على رأى كاتب « إنجيل برنابا ») ستتحول إلى بحر من الدموع !! أما ماسجله الكتاب المقدس عن يوم الدينونة ، فهو أن السموات (أو بالحرى الأجرام السماوية) تزول فيه بضجيج ، وأن العناصر تنحل فيه محترقة ، وأن الأرض تحترق هى والمصنوعات التى فيها (٢بطرس ٣:١٠) . وهو وصف يتوافق مع قول العلماء فى الوقت الحاضر أن الأجرام معرّضة للتصادم ، وأن ذرات الكون معرّضة للتفكك والانحلال . كما أن ماسجله الكتاب المقدس عن موقف الأشرار فى هذا اليوم هو : « والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر ، أخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال ، وهم يقولون للجبال والصخور : اسقطى علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش » (رؤيا ٦:١٥ ، ١٦) . فليقارن القارئ بين ماسجله الكتاب المقدس ، وماسجله الكتاب المسمى « إنجيل برنابا » .

٥ – فيه متناقضات :

أ – جاء فى فصل ٣:٢٦ ، ٤ ، ١٠:٤٧ ، ١٨:٧٤ ، ٦:٧٧ ، ١٨:٨٨ أن المسيح كان يبادر كل من يسأله عن أمرٍ من

الأمور التى يجهلها بالقول : « يامجنون » أو « ياغبى » . مع أن المسيح كان وديعاً يرحب بكل إنسان يتقدم إليه بسؤال عن أمر يجهله (متى ١٩ :١٦ ويوحنا ١٤ :٥) ولم يوبخ إلا الأشرار من رجال الدين بالقول : « يامرائين » ، لأن أعمالهم كانت تتعارض مع أقوالهم . وإذا كان الأمر كذلك ، فمن المحتمل أن الشخص الذى كتب الإنجيل المنسوب إلى برنابا ، لم يكن شخصاً رزيناً سليم النفس ، بل كان شخصاً ثائراً ومعقّداً ، لأن من يظن أن المسيح الوديع الهادئ كان يخاطب كل من يسأله عن أمر بالقول « يامجنون » أو « ياغبى » ، يكون هو ذلك الشخص بعينه .

ب – وجاء فى فصل ٩٣ :١٦ ، ١٨ و ٩٤ :٥ ، ٦ و ٩٧ :٢ أن هيرودس الملك وبيلاطس الوالى قدّما للمسيح صنوف التجلّة والاحترام ، وأن رئيس الكهنة سجد عند قدمى يسوع . مع أن رئيس الكهنة كان يبغض المسيح كل البغض ، وهو الذى أشار على اليهود من أول الأول بقتله . وأن بيلاطس وهيرودس كانا لايؤمنان بلاهوت المسيح حتى يقدما له التجلة والاحترام . ولو كان هذا صحيحاً ، لما فكر أحد فى صلب المسيح ، ولما كان هناك أيضاً مجال للقول بصلب يهوذا عوضاً عنه ، كما قال .

ج – وجاء فى فصل ٢٠٥ :١٤ أن شيوخ اليهود رفضوا المسيح لأنه أراد أن يكون ملكاً عليهم . مع أنهم هم الذين أرادوا أن يجعلوه ملكاً عليهم ليشبعهم خيرا ويدفع الرومان عن بلادهم ، ولكنه انصرف عنهم (يوحنا ٦ :١٥) لأن الملك الذى يريده هو الملك

الروحى على القلوب ، لأنه لم يأت للمُلْك على العالم ، بل لتقديم نفسه كفارة عن الخطاة ، حتى لايهلك كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً ، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣:١٦) . أما السبب الحقيقى فى رفض اليهود للمسيح فهو توبيخه لهم على شرورهم وآثامهم .

د – وجاء فى فصل ١٩٨: ١٢ أن المسيح قال : « عسانى أن أنال من الله قصاصاً فى هذا العالم ، لأنى لم أخدمه بإخلاص كما يجب علىّ أن أفعل » . مع أن المسيح كان كاملاً كل الكمال ،كما يؤمن المسيحيون والمسلمون معاً . فضلاً عن ذلك فقد شهد كاتب « إنجيل برنابا » فى ٢١: ٣ ، ٩٦: ٦ ، ٩٧: ٢ ، ١٥٦: ٣١ وغيرها أن المسيح هو « قدوس الله » . و « قدوس الله » لاعيب فيه ولايستحق إلا كل إكرام وتبجيل . وهكذا يناقض هذا الكاتب نفسه .

هـ– وجاء فى فصل ٤٧: ٨ ، ٢١٥: ٢ وغيرهما أن المسيح انسحب خائفاً ،خاصة عندما جاءوا للقبض عليه ليصلبوه . مع أنه كان شجاعاً كل الشجاعة ، فلم يرهب الملوك أو رؤساء الدين أو الجنود الذين أتوا للقبض عليه (متى ٢٦: ٤٦–٤٩ ولوقا ١٣: ٣٢ ويوحنا ١٨: ٦–٨) . أما سبب انسحابه فى بعض الأحيان ، فيرجع إلى عدم إصغاء اليهود إلى تعليمه ، ورغبته فى إسداء بعض الخدمات إلى الناس الذين كانوا فى حاجة إليها .

و - وجاء فى فصل ١٣١ :٦ أن يوحنا ، أحد تلاميذ لمسيح ، كان صديقاً لهيرودس الملك ، وأنه تناول الطعام معه مرة . مع أن يوحنا ، كيهودىّ المنبت ، كان يعتبر الاختلاط بواحد من الأمم الأخرى نجاسة ، يجب أن يبتعد عنها (يوحنا ٤ :٩) . أما ماسجّله الكتاب المقدس عن يوحنا هذا ، فإنه كان يعرف قيافا رئيس كهنة اليهود وقتئذ (يوحنا ١٨ :١٥) . وهذا أمر محتمل حدوثه ،لأن يوحنا (كما يتضح من مرقس ١ :٢٠ ويوحنا ١٨ :١٥) كان من أسرةٍ على شئ من الثراء .

ز - وجاء فى ٢١٧ :٧٩ أن يهوذا الإسخريوطى عندما كان معلقاً على الصليب ، قال لله : « لماذا تركتنى ؟ فإن المجرم قد نجا ، أما أنا فأموت ظلماً » . ولو كان يهوذا هو المعلق على الصليب ، لما نطق بهذه العبارة ، لأنه هو الذى سعى لصلب المسيح على الرغم من كمال المسيح المطلق ، لقد كان يهوذا مذنباً لايحق له أن يتساءل لماذا تركه الله .

ح - وجاء فى ١٣٦ : ٧ ، ٨ أن الأتقياء بعد دخولهم إلى الفردوس ، سوف يذهبون إلى الجحيم لمشاهدة الأشرار وهم يتعذبون . مع أن الذين يدخلون الفردوس يكونون بكلياتهم وجزئياتهم تحت تأثير محبة الله وجلاله ، فلا تهوى نفوسهم أن ترى شيئاً سواه . ولو فرضنا جدلاً أنهم سيذهبون إلى الجحيم لمشاهدة الذين فيه ، فإن عيونهم ستقع حتماً على بعض أقربائهم هناك فيتألمون لآلامهم ويتوجعون لأوجاعهم ، فلا يهنأ لهم بال فى الفردوس فيما بعد ، وهذا مالايرضاه الله لهم .

ط – وجاء فى فصل ١٠١ :٢١ أن إبليس نادم كل الندم لأنه خسر الجنة . وجاء فى٥١ :٣٢ أن الشيطان رفـض أن يقول لله : « أخطأت فارحمنى » – فكيف يتفق القول الأول مع الثانى ؟! .

ى – وجاء فى فصل ٧٥ :١٠ أن المسيح قال : « الكسل مرحاض يتجمع فيه كل منكر نجس » . وفى ٧٧ :١٥ أن المسيح قال : « الجمل لايرغب أن يشرب من الماء الصافى ، لأنه لايريد أن ينظر وجهه القبيح » – وهذه الأقوال لاتصدر إلا من شخص ضيق الفكر ، يتحدث مع جماعة لاتعرف للحقائق الروحية معنى . فالمرحاض ليس نجساً ، ووجه الجمل ليس قبيحاً ، لأن النجاسة والقبح (كما أعلن المسيح) هما فقط فى أعمال الإثم والدنس . ولو فرضنا جدلاً أن الجمل قبيح الوجه ، فإنه لايدرك أنه كذلك ، فلايمكن أن يمتنع عن مشاهدة وجهه فى الماء أو غير الماء . هذا إن كان الجمل يعرف أن صورته هى التى تنعكـس على هـذا أو ذاك ! .

ك – وجاء فى فصل ٩٢ :١٨ أن اليهود عندما عرفوا يسوع أخذوا يصرخون : « مرحباً بك ياإلهنا » – ولو أنهـم أقروا بأنه إلههم ، لما فكروا فى صلبه على الإطلاق .

ل – وجاء فى ٧ :١٠ أن يسوع عندما كان طفلاً ، حذر المجوس الذين أتوا لزيارته من العودة إلى هيرودس الملك .وجاء فى ٨ :٣ ، ٤ ، ٩ :١ ، ٢ أن ملاك الرب ظهر ليوسف خطيب العذراء مريم ، وقال له : « انهض وخذ يسوع واذهب إلى مصر ، وبعد

موت هيرودس قال له : عُد إلى اليهودية » . ولو كان يسوع قام فى طفولته بإرشاد المجوس ، لما كان هناك داعٍ لأن يرسل الله ملاكاً لإرشاد يوسف . لأن يسوع قام بهذه المهمة .

٦ – افتخار كاتب « إنجيل برنابا » بنفسه :

جاء فى فصل ١٩ :٦ أن يسوع أظهر العطف على برنابا عندما عامله بعض اليهود معاملة سيئة ، فقال له يسوع : « لا تأسف يابرنابا » . وفى ٤٢ :٢٠ أنه كان أحد أربعة رسل شاهدوا مجد يسوع الباهر على الجبل . وفى ١٩ :٥ أنه وحده هو الذى كان يكتب عن يسوع سراً بدموع . وفى ٧٢ :٥ أنه اقترب إلى يسوع بدموع وهمس فى أذنه سائلاً : « من هو الذى يسلمك ؟ » . وفى ١٠٠ :٦ ، ١١٢ :٢ أن يسوع طلب منه أن يمكث معه طويلاً حتى يجد راحة لنفسه . وفى ١٠٩ :٧ أنه قال له : « إن هذا لأعظم شقاء يكابده الإنسان يابرنابا » . كما قال له وهو يبكى : « يابرنابا ، يجب أن أكاشفك بأسرار عظيمة » ، فقال له برنابا : « اسمح لى بالبكاء يامعلم ، ولغيرىِ أيضاً لأننا خطاة . وأنت يامن هو طاهر ونبى الله لايحسن بك أن تكثر من البكاء » (١١٢ :٥–٧) . وفى ١٧ :٥٥ و ٢٢٠ :١٣ أن يسوع قال له : « سَلْ ماشئت يابرنابا ، أجبْكَ » .

ولكن الذين استخدمهم الله لتدوين الكتاب المقدس ، كانوا يحاولون دائماً إخفاء أنفسهم ، ولم يذكروا اسماءهم أو شيئاً من أعمالهم الهامة . وإن اقتضى الأمر ذكر هذه أو تلك ، لم يكن ذلك

للدعايــة أو التظـاهر بـل لتسـجيل حقائق يجب تسجيلها . بينما « برنابا » يطرى على نفسه كثيراً ،كما يحاول فى كل صفحة من كتابه أن يجذب أنظار الناس إليه بشتى الوسائل . الأمر الذى يدل على أنه لم يكن واحداً من تلاميذ المسيح ، بل كان شخصاً مرائياً ومدّعياً .

٧ - « برنابا » يثير شعور الناس دون مبرر :

جاء فى فصل ٤٢:١ ، ٢بكاء تلاميذ المسيح،وكان يسوع باكياً . وفى ٢٤:١ أن يسوع بكى وقال : « الويل للذين هم خدمة أجسادهم » . وفى ٥٨:١ أنه بينما كان يتكلم بكى التلاميذ بحـرارة . وفى ١١٢:٦ أن يسوع بكى كثيراً عندما كان يتحدث مرة مع من قال إنه برنابا .

ولكن إذا رجعنا إلى الموضوعات التى يقول كاتب « إنجيل برنابا » إنها أبكت يسوع وتلاميذه لانرى أنها تستلزم هذا البكاء ، الأمر الذى يدل على أن الكاتب المذكور لم يكن يسرد حقائق ، بل يحاول أن يخرج رواية مؤثرة ، فخانه التوفيق وافتضح أمره كثيراً ، كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن البكاء الكثير فى سبيل التقـرب مـن الله ، هو من مظاهر الرهبنة التى كانت منتشرة فى أوروبا العصور الوسطى ، اتضح لنا أن كاتب إنجيل « برنابا » كان من أبناء هذه العصور .

٨ - الحديث الموجّه إلى يسوع فى « إنجيل برنابا » :

جاء فى فصل ١٧ :١٩ أن فيلبس قال ليسوع : « كُتب فى إشعياء أن الله هو أبونا ، فكيف يكون له بنون ؟ » وفى ٢٢ :١٥ أن التلاميذ قالوا له : « قل لنا يامعلم ! لأى سببٍ يجب على الإنسان الختان ؟ » . فى ٢٦ :٨ « كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة ؟ » . وفى ١١٥ :١١ « ياسيد مامعنى الشهوة ؟ » .وفى فصل ٣٥ :٣-٥ أنهم قالوا « يامعلم قل لنا كيف سقط الشيطان بكبريائه ؟ لأننا كنا نعلم أنه سقط بسبب العصيان ، ولأنه كان دائماً يفتن الإنسان ليفعل شراً ؟ » . وفى ٧٣ :٤ « كيف يقف المجرب القديم (الشيطان) بالمرصاد للإنسان ؟ » وفى ٣٩ :١ « يامعلم ، ينقصنا أن نعرف كيف أخطأ الإنسان بسبب الكبرياء » . وفى ٤٣ :٥ « حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيا (قاصدين به نبى الإسلام) ، فتكرم بالتصريح لنا بكل شئ » . وفى ٥١ :٢ ، ٣ « كيف كلمت الشيطان ، وأنت تقول عنه مع ذلك إنه غير تائب ؟ كيف يأتى الله ليدين فى يوم الدينونة ؟ » . وجاء فى ٤٣ :٣١ ، ٤٤ :١-٣ أن يسوع قال : « صدقونى لأنى أقول لكم الحق أن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق » حينئذٍ قال التلاميذ : « يامعلم ، هكذا كتب فى كتاب موسى أن العهد صنع بإسحق » . أجاب يسوع متأوها : « هذا هو المكتوب ، ولكن موسى لم يكتبه ولايشوع ، بل أحبارنا » . وفى ضوء ماتقدم نقول : إن « الإنجيل المنسوب إلى برنابا يصوّر المسيح كشخصٍ صامت ، وإن تلاميذه هم

الذين كانوا يستدرجونه للحديث معهم عن الموضـوعات التى يريدونها . مع أن المسيح هو الذى كان يتحدث معهم عن الأمور التى يريدها . وإن جال بخاطرهم سؤال ، لم يكن هذا سؤالا استدراجياً يدعو المسيح للتحدّث معهم ، بل كان سؤالا استفهمياً ينمّ عن عدم معرفتهم بأمرٍ من الأمور ،وكان المسيح يجيبهم عنه بما يكفى لتعليمهم ، وإن اقتضى الأمر كان يسألهم ليمتحن مقدار فهمهم ، أو ليهيئهم لاستقبال التعليم الذى يريد تبليغه إليهم. من هذا يتضح لنا أن كاتب الإنجيل المذكور كانت لديه معلومات أراد أن يعرضها ، فوضع أسئلة عنها على ألسنة من اختارهم من تلاميذ المسيح وغيرهم ، ووضع فى فم « يسوع » الإجابة التى أراد أن يجعله يقولها ،كما يفعل مؤلفو الروايات تماماً .

٩ – الأسلوب الذى ينسبه « إنجيل برنابا » ليسوع :

جاء فى فصل ١١٥:١٢ أن يسوع قال : « الشهوة هى عشق غير مكبوح الجماح . إذا لم يرشده العقل تجاوز حدود البصيرة والعواطف » . وفى ١١٩:١١–١٦ أنه قال : « الصلاة هى شفيع النفس . الصلاة هى دواء النفس . الصلاة هى صيانة القلب . الصلاة هى سلاح الإيمان . الصلاة هى لجام الحس . الصلاة هى ملح الجسد » .

هذه عينة من الأساليب المنسوبة إلى يسوع فى الكتاب الذى يدعى « إنجيل برنابا » ، وكل من يتأملها يرى أنها أقرب إلى الأساليب الإنشائية التى يتعلّمها طلبة المدارس منها إلى أقوال الوحى

الإلهى . لأن الله تعالى عن أن يسعى لتنسيق أو تحسين العبارات ، بل يرسل الحقائق والوصايا كما هى ، حتى يجد طريقها إلى قلوب الناس ، وليس إلى الذوق الأدبى لدى بعضهم . لأن التعليم هو الذى يفيدهم ويحفزهم للسلوك فى سبيله ، أما تحسين العبارات فلا يؤثر على أحد من هذه الناحية .

١٠ – ادعاؤه بتحريف التوارة والإنجيل وابطالهما :

كان من البديهى ، وقد سلك كاتب « إنجيل برنابا » مسلكه الشائن من التزوير والتزييف ، أن يلجأ إلى الدعوى بحدوث تحريف فى التوراة والإنجيل وإبطالهما ، ليؤيد آراءه الخاصة . ولذلك نراه فى صفاقة يسجل فى فصل ١٥٩ :١٢ أن المسيح قال : « وكم قد أفسدوا بتقليدهم كتاب موسى وكتاب داود نبى الله وخليله » . وفى ٧٢ :١١ أنه قال لتلاميذه : « احذروا أن تغشوا ، لأنه سيأتى أنبياء كذبة كثيرون ، يأخذون كلامى وينجسون إنجيلى » . وفى ١٢٤ :٥–١٠ أنه قال إن إنجيله سيبطل (عمله) عندما يأتى المسيح (قاصداً به نبى الإسلام) إلى العالم ، ويقول فى العدد العاشر : « متى جاء رسول الله يجئ ليطهر كل ماأفسد الفجار من كتابى » (راجع نهاية الكتاب الأول . فصل سلامة الإنجيل من الناحية الدينية ، وتفسير ابن كثير للمائدة ٥ :٤٣) .

١١ – خلطه بين موضوعات الإنجيل :

يخلط « كتاب برنابا » بين الموضوعات الواردة فى الإنجيل ، ويضيف ماارتآه من أمور إليها ، ليثبت دعواه ، فقال فى فصل

١٠:٧٢ إن يسوع قال : « أما من خصوصى، فإنى قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله (أى لمحمد) ، الذى سيأتى بخلاصٍ للعالم » . وأنه قال أيضاً إنه ليس أهلاً أن يحل سيور حذاء محمد (فصل ١:٩٧) . وقال فى ١٥:٤٢ و ١٣:٧٢ و ١٥:١٩٨ و ٢:٢٠٦ إن المسيا (أو المسيح) هو محمد .وقال فى ٣١:٤٣ و ١٩١ :٥ إن عهد الله مع إبراهيم (من جهة النبوة والكتاب) محصور فى إسماعيل وذريته . وقال إن الله خلق العالم لأجل محمد فى ٩:٤٣ و ١٧:٨٢ ، ١٥:٩٧ ، ٢٦:١٢٢ .

ومن هذه الأقوال يتضح لنا مايأتى :

أ – نفى مؤلف كتاب « برنابا » وجود يوحنا المعمدان (المعروف فى الإسلام باسم يحيى) لأن يوحنا هو قائل العبارتين الأولى والثانية عن المسيح (ملاخى ٣:١ ومتى ٣:١-١٢ ولوقا ٣:٢-٦) .

ب – وأنه جعل نبى الإسلام هو المسيا (أو بالحرى المسيح) مع أن القرآن يشهد فى آيات كثيرة أن المسيح هو عيسى بن مريم (النساء ٤ :١٧١) .

ج – وأنه نفى النبوة إطلاقاً عن إسحق وذريته ، وبذلك ينقض ماجاء فى القرآن عن إسحق ويحيى والمسيح ومحمد جميعاً . فضلاً عن ذلك ، فقد نقض الحقيقة اللغوية الثابتة الخاصة بمدلول اسم (يسوع) والتى يقرّها علماء المسلمين والمسيحيين . فقد جاء فى الجزء الملحق بكتاب (الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص

٢٨١) : « عيسى بالعبرية : يسوع أى المخلص . إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم » .والغرض الوحيد من الخلط الذى قام به كاتب « إنجيل برنابا » هو طبعاً ، رغبته فى تجريد المسيح من مقامه الفريد وفدائه المجيد . لكن الحق يبقى حقاً إلى الأبد مهما اعتدى عليه الناس أو قاوموه .

د - وأنه قال إن يسوع أعلن عن مجئ نبى الإسلام بعده . مع أن المسيح أعلن فى الكتاب المقدس أن الذى يأتى بعده هو الروح القدس . فقد قال : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزّيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولايعرفه . وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (يوحنا ١٤: ١٦ ، ١٧) .

والكلمة المترجمة « المعزّى » ترد فى الأصل اليونانى « باراكليتوس » ومعناها « المعزى » أو « المرشد » أو « المؤيِّد » . كما أن أوصاف هذا المعزى لاتنطبق على إنسان ما ، للأسباب الآتية :

(١) أنه روح لاجسم له ، ولذلك لايمكن للعالم أن يراه .

(٢) أنه كان ماكثاً مع تلاميذ المسيح فى أثناء وجود المسيح معهم ، وأنه سيكون فيهم (أو بالحرى فى نفوسهم) بعد ذلك .

(٣) أنه سيمكث معهم إلى الأبد ، أو بالحرى لن يموت على الإطلاق .

(٤) أن المسيح طلب من تلاميذه أن ينتظروا مجئ هذا المعزى إليهم ، وفعلاً انتظروه بالصلاة ، فحلّ عليهم بعد صعود المسيح عنهم بعشرة أيام (أعمال ١ :٤ ، ٥ و ٢ :١-٥) .

فهذا الروح هو الروح القدس أو روح الله ، الذى يحل فى المؤمنين الحقيقيين ليعلمهم ويرشدهم ويمدّهم بالقوى الروحية التى يحتاجون إليها ، حتى يستطيعوا التوافق مع الله فى صفاته السامية ، والقيام بكل مايأمرهم به فى العالم الحاضر (يوحنا ١٥ :٢٦ و ١٦ :٧) وقد أشار « دجلان » فى كتاب (إنسان العيون ٣ :٣٣٩) إلى هذه الحقيقة ، بعد أن استعمل كلمة « ربى » بدلاً من كلمة « الآب » وأضاف إلى أقوال المسيح كلمة « النبوة » . فقال : « وفى الإنجيل عن عيسى عليه السلام أنه قال ، وإنى أطلب من ربى فارقليط يكون معكم إلى الأبد . فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى ، أى بالنبوة يعلمكم جميع الأشياء ويذكركم بماقلته » (عن كتاب : المسيح فى الكتب الإسلامية للدكتور ميشال حايك ص ٤٥٩) .

١٢ - تمويه على القراء :

جاء فى صدر « إنجيل برنابا » أنه « الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح » - وهذه العبارة لم تكن طبعاً لتخطر ببال كاتبها ، لولا أنه كانت فى أيامه إشاعة بأن الإنجيل (المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا) قد أصابه التحريف . وهذه الإشاعة (كما نعلم) لم تظهر فى الوجود إلا بعد ظهور الإسلام بسنوات كثيرة .

وبذلك أعلن كاتب هذا الإنجيل ، دون أن يدرى ، أنه عاش بعد ظهور الإسلام ، وليس قبل ظهوره .

كما أن قوله « يسوع المسمى المسيح » ، وليس « يسوع المسيح » كما يتضح من الكتاب المقدس ، دليل على تنكره لهذه الحقيقة ، ليضع محلها أن محمداً هو المسيح ، مخالفاً بذلك المسلمين أنفسهم .

١٣ – عقدة الذنب عند « برنابا » :

إن المذنب ، مهما حاول إخفاء جريمته ، يؤنّبه ضميره ، فيحاول إسكاته بعبارات يلتمس فيها تبرئة نفسه أو إدانه غيره ، فيثبت دون أن يدرى أنه هو المذنب ، . وهذا ماحدث مع كاتب الإنجيل الذى نحن بصدده . فاسمعه يقول فى فصل ١٩ :٥ و ٦ لمن دعاه يسوع : « ياسيد ! أيخدعنى الشيطان ؟ وهل أكون منبوذاً ؟ » فيجيبه بالقول : « لاتأسف يابرنابا ، لأن الذين اختارهم الله قبل خلق العالم لايهلكون » . وعلى الرغم من ذلك فإن المدعو برنابا يشعر بذنبه ، ويحاول تبرئة نفسه ، فقد قال فى ٥٠ :٢٧ ، ٢٨ « ماأرهب قضاء الله ! يهلك القاضى ، وينجو المقضى عليه » مشيراً بالقاضى إلى الشعب المسيحى،لأن هذا الشعب هو الذى كان يضطهد اليهود قبل فتح العرب للأندلس كما يتضح من الفصل التالى ، ومشيراً بالمقضى عليه إلى نفسه ، لأنه كان يعلم أن المسيحيين سوف يقضون عليه بالتزوير والتزييف .

الفصل السادس

شخصية كاتب « إنجيل برنابا » وأدلة إسلامية على تزييف إنجيله

١ – ثقافة كاتب « إنجيل برنابا » وأهدافه :

اتضح لنا مما سلف أن هذا الشخص لم يكن مسيحياً بل يهودياً وأنه عاش فى القرن ١٥ فى أسبانيا (أو الأندلس) . وأنه كان يجيد بعض اللغات الأوروبية ويتصف بالطموح وسعة الخيال، فكانت له الفرصة المناسبة للاتصال بعلماء المسلمين ، ومنهم فى الأندلس عدد كبير أثناء حكم العرب لها (٨١١–١٤٧٢م) . فاعتنق الإسلام على أيديهم ، ودرس اللغة العربية والكثير من القرآن ، كما درس شيئاً من الأحاديث النبوية والقدسية والعلوم الصوفية والفلسفة الإسلامية . ثم سوّلت له نفسه أن يعمل إنجيلاً جديداً يلغى به « حسب ظنه » إنجيل المسيحيين ، ليتركوه ويعتنقوا الإسلام مثله . فدرس إنجيلهم ، ثم أضاف إليه وحذف منه ، كما غيّر فيه وبدّل ، حتى أخرج منه « إنجيلاً » يحقق أهدافه . ولتكون لهذا « الإنجيل » أهمية خاصة ، نسبه بخبثٍ ودهاء إلي برنابا ، أحد رفقاء الرسول بولس المشهورين . ثم لفق قصة فرامارينو مع البابا سِكتوس الخامس التى ذكرناها فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، ليُدخل فى روع المسيحيين أن الإنجيل المذكور قديم حقاً . وكان الأجدر به ، عوضاً

عن أن يسلك هذا المسلك الشائن ، أن يكتب عن المزايا التى رآها فى الإسلام ، وعن النقائض التى رآها فى المسيحية (إن كانت بها نقائص) ثم يترك للناس حرية الاختيار ، لأنه لا إكـراه فـى الديـن (البقرة ٢:٢٥٦) .

٢ – الاسم الحقيقى لكاتب « إنجيل برنابا » :

يغلب على ظنى أن هذا الشخص هو ، بعد إسلامه « مصطفى العرندى » الذى عاش فى أسبانيا ، والذى ورد اسمه فى النسخة الأسبانية للإنجيل المذكور ، لأن « عرندة » كما يتضح من دائرة المعارف البريطانية من الاسماء المعروفة فى أسبانيا . وسواء كان مصطفى العرندي هو الذى كتب هذا « الإنجيل » أم كتبه شخص غيره ، فإنه كتاب حديث لا يمتٌ للمسيحية بصلة ، فلا يُعوَّل عليه ككتاب صادق .

٣ – سقوط الدعوى بوجود إنجيل برنابا الحالى ، منذ القرون الأولى :

لايجوز الأخذ بالدعوى أن « إنجيل برنابا » كان موجوداً فى القرون الأولى ، بزعم أن البابا جلاسيوس حرم قراءته سنة ٤٩٢م وذلك للأسباب الآتية :

أ – أن برنابا الذى حرم الباب المذكور إنجيله (كما يتضح من دائرة المعارف البريطانية) كان من الغنوطسيين الذين كانوا يعتقدون بوجود إلهين ، أحدهما للخير والآخر للشر . بينما « إنجيل برنابا » الحالى لاأثر فيه لهذا الاعتقاد .

ب – تدل محتويات هذا الإنجيل دلالة قاطعة على أنه كُتب في القرن ١٥ كما اتضح لنا من الفصول السابقة .

ج – وجود إنجيل باسم « برنابا » في القرن الخامس ، ليس برهاناً على أنه كان هو « إنجيل برنابا » الذى نحن بصدده ، للأسباب التى ذكرناها ، وأيضاً لأن تشابه أسماء أشخاص منسوبة إليهم كتب عن موضوعٍ ما ، لايدل على أن شخصاً واحداً كتبها . فقد يكتب زيد من الناس كتاباً عن « الفلك » مثلاً ، ويكتب آخر يدعى زيداً أيضاً كتاباً عن هذا الموضوع بعينه ، دون أن يترتب على ذلك أن يكون الكتابان واحداً فى المعنى أو المبنى . ولعل أوضح دليل على ذلك أن من بين الأناجيل المزيفة القديمة واحداً منسوب إلى شخص يدعى متى ، والحال أن أحد الأناجيل الحقيقة كتبه رسول من رسل المسيح اسمه « متى » . لكن شتان بين ماورد فى هذا الإنجيل وبين ماورد فى ذاك . ولذلك أطلق العلماء المسيحيون منذ القديم على الأول اسم « أبسودو » أى « المزيف » حتى يفرّق الناس بينه وبين الإنجيل الحقيقى الذى كتبه متى الرسول .

٤ – شهادة بعض علماء المسلمين عن تزييف « إنجيل برنابا » :

وقد درس بعض علماء المسلمين هذا « الإنجيل » بدقة وإخلاص ، فانتهوا إلى ما انتهينا إليه تماماً ، كما يتضح مما يلى :

أ – كتب الأستاذ عباس محمود العقاد فى صحيفة الأخبار القاهرية الصادرة فى ٢٦ أكتوبر (ت١) ١٩٥٩ موضوعاً عن إنجيل برنابا ، يتكون من النقاط الخمس الآتية :

(١) إن الكثير من عبارات الإنجيل المذكور كُتبت بصيغة لم تكن معروفة ، قبل شيوع اللغة العربية فى الأندلس وماجاورها .

(٢) يستند وصف الجحيم فى إنجيل برنابا إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود فى عصر المسيح .

(٣) بعض العبارات الواردة به كانت قد تسربت إلى القارة الأوروبية نقلاً عن مصادر عربية .

(٤) ليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوف باسم « محمد رسول الله » .

(٥) تتكرر فى هذا الإنجيل بعض أخطاء لايجهلها اليهودى المطلع على كتب قومه ، ولايردّدها المسيحى المؤمن بالأناجيل المعتمدة فى الكنيسة الغربية ، ولايتورط فيها المسلم الذى يفهم ما فى إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن ، مثل القول عن محمد إنه المسيا أو المسيح .

ب – قال دكتور محمد شفيق غربال فى الموسوعة الميسّرة (ص ٣٥٤) تحت كلمة « برنابا » مايأتى : إنجيل مزيف ، وضعه أوروبى فى القرن الخامس عشر ، وفى وصفه للوسط السياسى والدينى فى القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة . كما أنه يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح ، إنما جاء مبشِّراً بمحمد الذى سيكون المسيح .

ج – سجّلت كتب التاريخ الإسلامية القديمة مثل (مروج الذهب ، والقول الإبريزى ، والبداية والنهاية ، والتاريخ الكامل ، وتاريخ اليعقوبى ، وتاريخ أبى الفداء) والكتب الحديثة أيضاً مثل (كتاب دائرة معارف الناشئين) أن إنجيل المسيحيين هو المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، كما ذكرنا . فضلاً عن ذلك فقد اقتبست بعض الكتب المذكورة الكثير من الآيات التى وردت فى هذا الإنجيل ، بينما لايوجد بها أى اقتباس من الكتاب الذى يدعى « إنجيل برنابا » – وهذا دليل على عدم قدمه أو بالحرى على عدم قانونيته .

الخلاصة:

إننا نتفق مع العلماء من أمثال د. محمد شفيق غربال والعقاد وغيرهم فى أن هذا الكتاب مزوّر ، وهو ليس ضد المسيحية فحسب بل إنه يناقض القرآن أيضاً بالإضافة لمناقضته للعقل والمنطق كما هو واضح من الأدلة السابقة، ولانجد أى غضاضة فى رفضه رفضاً باتاً ويتفق معنا الاخوة المسلمون (راجع فصل عقيدة الكاتب وجهله لبعض الحقائق الإسلامية . بل مناقضته للفكر الإسلامى) . وفى هذا كل الكفاية لمن يريد الوقوف على الحقيقة ، والسلام .

المــــراجـــع

أولاً – كتب مسيحية

١ – الكتاب المقدس .

٢ – قاموس الكتاب المقدس .

٣ – تاريخ الكنيسة : تأليف موليبه واندريه مولر

٤ – الوحدة الإلهية فى الأسفار الربانية : تأليف أدولف سافير .

٥ – استكشاف كتاب الكتب : تأليف فرنك جيلين .

٦ – جغرافية الكتاب المقدس وتاريخه : تأليف تشارلس فوستر .

٧ – شهادة الآثار للكتاب المقدس : تأليف ا.م.هودجكن .

٨ – الأحجار تتكلم : تأليف جون الدر .

٩ – محاورات جدلية ، والمشرع : تأليف الأب لويس شيخو اليسوعى .

١٠ – فلسطين كما عرفها المسيح : تأليف دكتور عزت زكى .

١١ – المسيحية والبدع : تأليف دكتور اندرسن مورى .

١٢ – بديع الحساب فى تنزيل الكتاب : للقس جبرا تاوضروس .

١٣ - Commentaries : By Clark and Matthew Henry

١٤ - Evidence of Prophecy : By Keith

١٥ - The Pilgrim Church : By Broadbent

١٦ - The Bible and How We Got it : By Lucas

١٧ - The Primitive Church : By Sweeter

١٨ - Introduction to the Life of Christ : By Hill

١٩ - The Bible - Its Origin and Nature : By Marcus Dods

٢٠ - The Wonder of the Book : By Dr. Haig

٢١ - Novo Testamento : By Nesté

ثانيا - كتب إسلامية

١ - القرآن .

٢ - الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية : للأستاذ زين العابدين عبد الرءوف ابن تاج العارفين .

٣ - صحيح البخارى وصحيح مسلم .

٤ - تفاسير الرازى البيضاوى والزمخشرى والطبرى وابن كثير .

٥ – مروج الذهب : لأبى الحسن المسعودى .

٦ – البداية والنهاية : للامام عماد الدين أبو الفداء .

٧ – القول الابريزى : للعلامة أحمد المقريزى .

٨ – لباب الاشارات والشفاء والنجاة لابن سينا .

٩ – تهافت التهافت : لابن رشد .

١٠ – الفصوص : للفارابى .

١١ – فجر الإسلام وضحاه وظهره : للدكتور أحمد أمين .

١٢ – « الله » : للأستاذ عباس محمود العقاد .

١٣ – عبقرية المسيح : للأستاذ عباس محمود العقاد .

١٤ – الملل والأهواء والنحل لابن حزم .

١٥ – فصوص الحكم : للشيخ محيى الدين العربى .

١٦ – مشكلة الألوهية : للدكتور محمد غلاب .

١٧– العقائد النسفية : للأستاذ السعد التفتازانى .

١٨ – فجر الأندلس : للدكتور حسين مؤنس .

١٩ – أخبار عمر : للأستاذ على الطنطاوى .

٢٠ – الصديق أبو بكر : للدكتور محمد حسين هيكل .

٢١ – نظرات فى القرآن : للأستاذ محمد الغزالى .

٢٢ – حاشية الأمير على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة .

٢٣ – تحفة المريد على جوهرة التوحيد : للامام الشيخ ابراهيم البيجورى .

٢٤ – نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى : للأستاذ محمد زاهد الكوثرى .

٢٥ – دعوة الحق والحقيقة : للأستاد منصور حسين .

٢٦ – الروح وماهيتها : للأستاذ الحريرى البيومى .

٢٧ – الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية : للسيد يوسف بن اسماعيل البنهانى .

٢٨ – الاسراء معجزة كبرى : للسيد محمد حجازى .

٢٩ – الدين والشهادة : للحاج عباس كرارة .

ثالثا – كتب يهودية

١ – « الأسفار المحذوفة » : مطبعة مرقس جرجس .

٢ – مقدمة الأسفار غير القانونية : تأليف صالح سابا .

٣– موسى بن ميمون : تأليف د . اسرائيل لفستون .

٤ – The Talmud : By M. Polano

٥ – The Apocrypha

رابعا – مراجع عامة

١ – الموسوعة العربية الميسرة : تأليف د . محمد شفيق غربال .

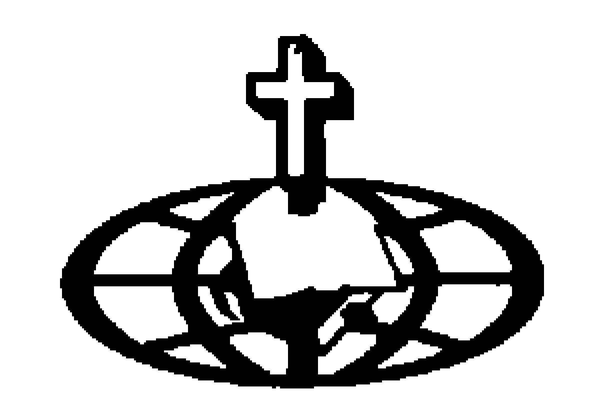
٢ – دائرة معارف الناشئين : تأليف دكتورة فاطمة محمد .

٣ – تاريخ أوروبا الحديثة : تأليف الأستاذين عمر الاسكندرانى وميجر سفدج .

٤ – تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى : تأليف الأستاذين عمز الاسكندرانى وسليم حسن .

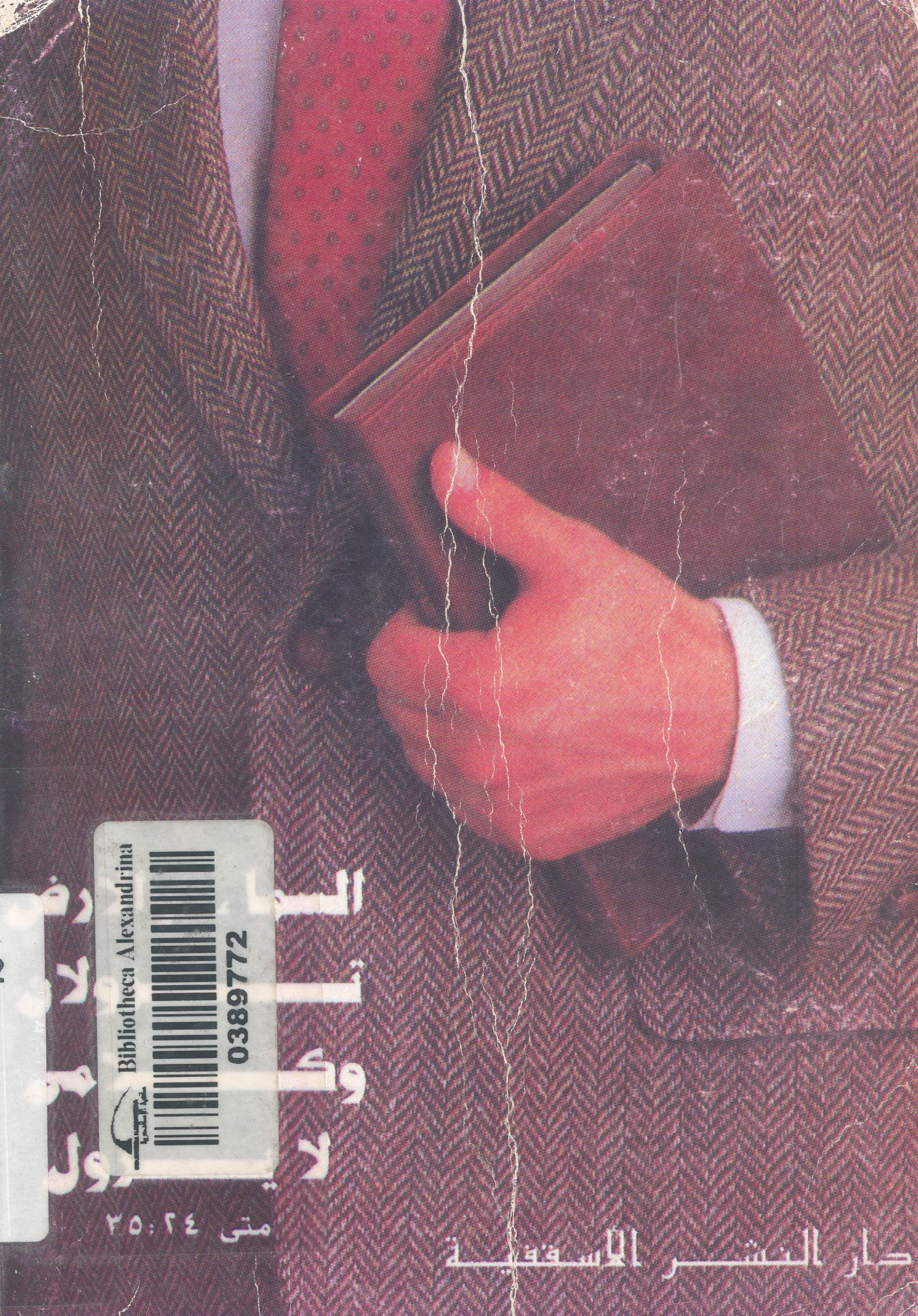
٥ – Divina Commedia : By Dante Alighieri

٦ – Encyclopaedia Britannica



دار النشر الأسقفية

Episcopal Church Publisher


متى ٢٤: ٣٥
دار النشر الأسقفية
Bibliotheca Alexandrina
0389772